

عود الند

مجلة ثقافية فصلية

ISSN 1756-4212

الناشر: د. عدلي الهوارى

العدد الفصلى 35: شتاء 2025

بحوث ومقالات ونصوص



عود الند تكمل عامها التاسع عشر

المحتويات

- 3 عدلي الهواري ..
كلمة العدد الفصلي 36: هل يفسد الذكاء الصناعي
التعليم العالي؟
- 7 د. نجود الربيعي ..
ثنائية الحياة والموت، قراءة بيئية في قصة «العجوز»
لمريم الساعدي
- 24 فراس حج محمد ..
إطلالة على نشأة النحو العربي
- 30 إيناس ثابت . ..
الصلاة الأخيرة
- 34 د. فراس ميهوب ..
بين سيف نيرون وعيني جوستينا
- 37 زكي شيرخان ..
هو وصباح وجاسم
- 50 تسنيم حسن ..
أفراح قصيرة

- 52 فنار عبد الغني.. ..
البحث عن شقة 2: شقق المهندس لطفي
- 55 ندوة إنترنتية: على خطى حنظلة ..
استكشاف حياة وأعمال ناجي العلي
- 56 مختارات: عبد الله حدّاد ..
أنا عربي أصيل يا خَلَّتِي
- 61 مختارات: نردين أبو نبعة ..
وداد: سدرة الجبل
- 64 ترجمات: كريس هـدجـز ..
الإمبراطورية تدمر ذاتها
- 67 ترجمات: مشروع 2025 ..
مشروع الانتقال الرئاسي في الولايات المتحدة
- 69 الصفحة الأخيرة: د. عدلي الهواري ..
رفائيل ليمنك يعرف الإبادة العرقية في عام 1944
- 76 غلاف العدد الفصلي 36 ..
عن لوحة الغلاف

عدلي الهواري

كلمة العدد الفصلي 36: هل يفسد الذكاء الصناعي التعليم العالي؟



تفشى استخدام الذكاء الصناعي بين الطلبة كتابة البحوث والمقالات. وقد يصبح غير مجد تقييم الطلبة على أساسها، فمن المحتمل أن الطلبة سيكتبونها باستخدام الذكاء الصناعي. لن تكون البحوث نسخا متطابقة في الكورس الواحد، لأن مواقع الذكاء الصناعي متنوعة، ولكنها سوف تتشابه كثيرا، وخاصة لناحية خلوها مما يشعر قارئها أن فيها نقاشا بشريا يختلف من إنسان لآخر.

هل يجوز للجامعات اعتبار استخدام الذكاء الصناعي في كتابة البحوث والمقالات شكلا من الغش؟ أم سيصبح مقبولا تسليم مقالات كُتبت بالذكاء الصناعي؟

عندما ظهرت الحاسبات الإلكترونية الصغيرة، انتشر استخدامها بين طلبة التخصصات العلمية، وهذه الآلة اختصرت الكثير من وقت مستخدميها في حل مسائل رياضية يدويا. لكن دورها كان مقتصرًا على ضرب وقسمة الأرقام وما شابه من أمور تستخدم في الرياضيات والتخصصات العلمية، وظل حل المسألة

الرياضية والوصول إلى الجواب النهائي مسؤولية مستخدميها، سواء أكان طالبا، أم مهندسا، أم أستاذ رياضيات.

وكان من ضمن الواجبات المطلوبة من طلبة الهندسة أوائل الثمانينيات حلّ مسائل معقدة باستخدام الحاسوب، الذي كان وقتها جهازا لا تراه، بل تتعامل معه ببطاقات مثقبة تلقم لجهاز مرتبط بالحاسوب، فيخرج لك الحل مطبوعا على أوراق مترابطة على جانب منها، وتتراكم فوق بعضها. لذا، استخدام الحاسوب لحل المسائل كان مهارة مطلوب اكتسابها.

بعد أن أصبحت الطائرات متوفرة، لا يعقل أن يُلزم الإنسان باستخدام سيارة للسفر إلى مكان بعيد. ولا يعقل أن يطلب من الإنسان أن يمشي أو يستخدم عربات تجرها الحيوانات كوسيلة مواصلات بدل استخدام السيارات. عندما ظهرت الإنترنت، شاهدنا الإقبال الكثيف على المشاركة في المنتديات وتأسيس مدونات شخصية، وشاهدنا ضعف مستويات الكتابة باللغة العربية. ولا شك أن الإنترنت سهّلت سرقة المواد بقليل من الجهد، بعد أن كانت تحتاج إلى إعادة طباعة من كتاب أو مجلة. وصارت مواقع الإنترنت مليئة بالغث والسمين. مع ذلك، ذو الاهتمامات الأكاديمية صار بوسعهم أن يحصل على موارد للبحث كالكتب والمجلات المحوَّلة إلى نسخ رقمية. لذا حتى هذه المرحلة، التكنولوجيا كانت عاملا مساعدا.

الذكاء الصناعي نقل الأمور إلى حالة مختلفة. الطالب يعتمد تماما عليه ليكتب بحثا أو مقالة، ويريه من الطباعة، ويكون ما كتب بلا أخطاء إملائية، ويمكنه أن يطلب إعادة صياغة جمل أو فقرات إذا شاء. لذا، اعتبار الذكاء الصناعي عاملا مساعدا محتملا لإفساد التعليم له أسس أقوى مما لو تحدثنا عن تأثير الآلات الحاسبة، أو استخدام الحاسوب للكتابة والطباعة، ففي هذه الحالات، مستخدم الأجهزة لا يزال هو الذي يقوم بالعمل الرئيسي. أما عندما يتعلق الأمر بالذكاء الصناعي، فدور مستخدمه يكون محصورا بطلب ما يريد باستخدام كلمات قليلة أو بعض الجمل، وخلال دقائق يكون أمامه مقالة أو نقاش لفكرة.

من الممكن استخدام الذكاء الصناعي كعامل مساعد للكتاب والباحثين عندما يكون استخدامه مماثلاً لاستخدام محركات البحث، فأنت تستخدم غوغل أو غيره للبحث عن معلومات، مثلما يتصفح الكاتب الصحف القديمة تحضيراً لكتابة بحث أو مقالة.

في حال استخدام الذكاء الصناعي كعامل مساعد، له ميزه تريحك من التنقل بين مواقع وجدها لك غوغل أو غيره، وهذا يقلل من تعاملك مع الإعلانات في المواقع المختلفة، والموافقة لها على تنزيل «كوكيزز» على حاسوبك، فتكون كمن يعمل في مكان هادئ.

المتابعون لأخبار التطورات في مجال الذكاء الصناعي يعلمون أن الصين دخلت الميدان بقوة من خلال نظامها المسمى ديبسيك (deepseek)، وهو مجاني الاستعمال، وأعتقد أنه لا يضع حداً أقصى لعدد مرات طرح الأسئلة عليه، بخلاف مواقع أميركية. كما أن للفرنسين موقع ذكاء صناعي لست ملماً بمزاياه بعد. هكذا أفسدت الصين على الولايات المتحدة تحويل الراغبين في استخدام مواقع الذكاء الصناعي إلى دجاجة تبيض ذهباً، مثلما الأمر المتعلق بنظام ويندوز وبرامج مايكروسوفت وغيرها، فأنت تشتري حاسوباً، لكنك لا تملكه تماماً، بل تشتري نظام التشغيل، وبرامج أخرى مفيدة لك. وهناك انتقال تدريجي من بيع البرامج إلى استخدامها عبر اشتراك سنوي فقط، وهذا النمط مفروض الآن على مستخدمي برامج شركة أدوبي، وبدأت ميكروسوفت السير على هذا الطريق.

أعود إلى النقطة التي وددت إثارتها في هذه الكلمة، أي استخدام الذكاء الصناعي في التعليم الجامعي وخاصة في التخصصات التي تعتمد على كتابة بحوث ومقالات عمادها التفكير النقدي والإبداع. أعرف من ناحية أن كتابة الذكاء الصناعي بحثاً لك أمر سيء للغاية، وأعرف من ناحية ثانية أن الطلبة وغيرهم لن يحجموا عن استخدام الذكاء الصناعي، وسوف يسارعون إلى استخدامه مثلما أقبل الناس على استخدام الحاسوب والإنترنت والآلة الحاسبة والطائرة والسيارة.

هل سيصبح الأمر مقبولاً؟ هل سوف تتبنى الجامعات سياسات تحدد المقبول والممنوع في هذا المجال؟ هل ستتغير أساليب تقييم الطلبة ومنحهم الدرجة المتناسبة مع جهودهم في التحصيل العلمي وتفوقهم فيه؟ هل التعليم بطرقه المعروفة قبل الذكاء الصناعي ستتغير؟ هناك تساؤلات كثيرة تحتاج إلى نقاشات في المجتمعات عامة، وفي الأوساط التعليمية خاصة.

= = =

مواقع ذكاء صناعي

ديبسيك (DeepSeek):

<https://www.deepseek.com/>

ميسترال (Mistral):

<https://mistral.ai/>

أوبن آيه آي (Open AI):

<https://openai.com/chatgpt/>

د. نجود الربيعي

ثنائية الحياة والموت، قراءة بيئية في قصة «العجوز» لمريم الساعدي

1= المقدمة

تهدف هذه الدراسة إلى تطبيق منهج النقد البيئي على قصة قصيرة بعنوان: العجوز [1] للكاتبة مريم الساعدي. فلطالما ذُكرت الطبيعة/البيئة في النصوص الأدبية بوصفها مكاناً للأحداث أو مشاركاً للإنسان في تكوينه أو شاهداً على الانهيار البيئي الذي بدأ يعاني منه الكوكب في الفترة الأخيرة، ومن هنا انبثق النقد البيئي ليزاوج بين العلوم والأدب إذ يعدّ واحداً من المناهج البيئية الحديثة التي تبحث في العلاقة بين الإنسان والبيئة مع التركيز على وعي الإنسان ببيئته ومشكلاتها. تحاول هذه الدراسة الإجابة عن كيفية انعكاس الوعي البيئي على عناصر البناء الفني للقصة القصيرة (الشخصيات والسارد والزمان والمكان) وما مدى إمكانية تطبيق فرضيات لورنس بويل على النص المختار ليكون مؤهلاً للدراسة وفق المنهج البيئي.

2= في النقد البيئي

يعدّ مصطلح النقد البيئي من المصطلحات الحديثة، وقد تعدّدت تسمياته مثل: النقد البيئي أو النقد الإيكولوجي أو الدراسات الثقافية الخضر [2]. فكلمة إيكو اختصار لمفهوم البيئة الذي يتضمّن النشاطات التي تربط بين الكائنات الحية في بيئتها الطبيعية فضلاً عن علاقتها بتلك البيئة. وعليه فإن النقد البيئي يُعنى بالكشف عن الأفكار البيئية التي يُنتجها النص الأدبي في علاقته بالبيئة أو كيفية تمثيل علاقات الإنسان ببيئته المادية في الأدب [3].

وهو منهجٌ ومنظورٌ لتحليل واقع البيئة في الأدب يتمكن الناقد من خلاله أن يدرك البيئة المتخيلة في النص الأدبي بنظرة بعيدة عن كون البيئة مجرد مكان تجري فيه الأحداث، بل يسعى إلى الكشف عن العلاقة الموجودة بين الإنسان والبيئة وتأثر وتأثير أحدهما في الآخر.

يعدّ تعريف جلوتفلي تعريفًا مرجعيًا للنقد البيئي والذي ينصّ على أنّ النقد الإيكولوجي يمثل دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة الطبيعية، مثلما يفحص النقد النسوي اللغة والأدب من منظور يراعي الجنس. وكما أنّ النقد الماركسي يستحضر وعياً بأهمّات الإنتاج والطبقة الاقتصادية لقراءته للنصوص، فإنّ النقد الإيكولوجي يتّخذ نهجاً يركّز على الأرض في الدراسات الأدبية [4]. ويكون هذا التركيز ليس على أساس أن الأرض هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان بل هي الوعاء الذي يحتلّ الإنسان جزءاً منه، وهناك مشاركون آخرون له كالحوانات والنباتات، فضلاً عمّا تمتلكه الأرض من موارد وطاقة غالباً ما يتسبب الإنسان في تدميرها أو الإضرار بها. فيسعى هذا النوع من النقد إلى إثارة وعي القارئ بالدور الذي تلعبه الطبيعة كوجود ماديّ والبيئة باعتبارها الفضاء المحيط بالإنسان في النصوص الأدبية من خلال الصور الموحية سواء تلك التي تصوّر جمالات الطبيعة والحياة الرعوية أو على العكس تلك التي ترسم مشاهد الكوارث الطبيعية، أو تلك التي تنتبأ بسيناريوهات مرعبة بحيث تُشعر القارئ أنه موصول فعلاً بالمكان وبالعناصر التي تكوّنه [5].

هناك اتجاهان رئيسيان في النقد البيئي، فقد «عُرف هذا النقد لدى الدارس الأمريكي بكونه اهتماماً بالطبيعة، وعُرفت الدراسات الخضراء لدى البريطانيين بوصفها كشف المخاطر وبيان التهديدات التي تعانيها الطبيعة» [6]. وارتبطت الأبحاث والدراسات البيئية المبكرة في النقد البيئي الأمريكي بمناصرة الكتابة غير الخيالية عن الطبيعة، حيث عكست كتابات تلك الموجة مشاهد البرية مع التركيز على القيمة التعليمية للطبيعة البرية وعلى الرابطة الشديدة مع المنظر الطبيعي [7]. وفي مقابل ذلك اتجهت كتابة الموجة الأولى في بريطانيا إلى التركيز

على الكتابات التي وضعت الأساس للعالم غير البشري وعزّزت الحسّ البيئي (...).
ويطغى عليها الجانب التهديدي، أي كانت تحدّر من التهديدات البيئية [8].
يقوم النقد الأدبي البيئي بانتقاء النصوص الأدبية التي تهتم بالبيئة وتنتصر
لها إلى حدّ كبير والتي تدافع عمّا يحصل للبيئة من تحدّيات ومخاطر فإن
هذا سيتجلّى بنوع من التعلّق بالبيئة، «والتعبير عن الوعي بالمكان، وما يدور
فيه، وأنسنته، وجعل هذه المظاهر ذات رمزية معيّنة يحكمها السياق» [9].
إنّ مصطلح أنسنة المكان بحدّ ذاته يضيفي صفة الإنسان على المكان الجامد
الذي هو البيئة، كنوع من المشاركة الوجدانية ف «تزداد أهمية المكان من
خلال الأنسنة، إذ يكتسب خصائص إضافية تحوّل من حيّز جغرافي يحوي
الزمن والأحداث والشخصيات إلى كائن واعٍ يكتسب طباع البشر ويؤدّي الدور
الإنساني (...) يمتلئ بأحاسيس الإنسان ومشاعره» [10]. وبذلك يتعامل النقد
البيئي مع النصوص التي تعطي البيئة بعداً أكبر من كونها مكاناً جامداً بل هي
مكان حيّ يؤثّر ويتأثّر، يحيا ويموت، وهي متغيّرة وليست ثابتة، ويبين الأهمية
الكونيّة للبيئة في عالمنا الذي نعيش فيه، كما يبيّن علاقتها بالإنسان بوصفه
مشاركاً لها في هذا العالم.

ويمكن القول هنا إن النقد البيئي يكشف عن مسارين من الوعي بالبيئة
ومكوناتها في النصوص، فقد عُرف لدى الدارس الأمريكي بكونه يهتم بالطبيعة
وبوصفها والتماهي معها وتمجيدها، في حين ظهر لدى الدارس البريطاني وسيلة
للكشف عن تهديد الإنسان للبيئة وما يمكن أن يحصل للكوكب من مشاكل
بفعل الإنسان على اعتبار أنّ هذه السياسات هي المتسبّب الأول بالخراب
البيئي. ويجدر القول هنا إن الموجة الأولى وفق المنهج الأميركي تتضمن البحث
عن نصوص تمجّد جمالية البيئة بوعي في حين كانت الموجة البريطانية أكثر ميلاً
للبحث عن النصوص الأدبية التي تحدّر من الكوارث البيئية.

3= قراءة بيئية في قصة العجوز

ملخص القصة: تُسرّد القصة على لسان راوٍ خارجي يخبر القارئ عن شخصية

العجوز القانعة بيئتها الصحراوية رغم الحرّ والعطش لكنها تشعر بألفة مع خيمتها وما تملكه من حيوانات تتمثل بالأغنام والطيوس، وتشعر بلذة طعامها وخبزتها. تلك العجوز في القصة هي عنصر الرفض لواقع الحياة الحديثة، فكانت أمّاً لجيل فضّل الانتقال إلى الحياة الحديثة وأصبح لأبنائها وبناتها مناصب وأعمال وبيوت في الحياة المدنيّة. وبعد وفاة الزوج اضطرّ الأولاد إلى عرض فكرة الانتقال إلى المدينة على العجوز، فجابتهم بالرفض أولاً ثم وافقت مُكرهة. وبنقلها إلى البيئة الجديدة فقدت التواصل مع الحياة ولم تتكيّف معها لتنتهي القصة بموتها وموت ما تركته وراءها في الصحراء من حيوانات، وكأنّ ذلك يرمز إلى موت مرحلةٍ تاريخيّةٍ نقيّة بسيطة عاشها الإنسان مشاركاً بيئته حلوها ومرّها.

3.1 العنوان: اتخذ النص كلمة «العجوز» عنواناً له ويعدّ العنوان المدخل الأساسي لقراءة النصوص ويندرج تحت مسمّى «عتبات ونصوص محيطية خارجية» حيث يعدّ العنوان ضمن فقرة النص المحيط باعتباره نصّاً مصغراً [11]. ورد تفسير كلمة العجوز في القاموس: «والعجوز والعجوزة من النساء: الشيخة الهرمة» [12]. يشير العنوان إلى حالة من التقدّم في السنّ فجاءت صياغته لا ليكون مجرد اسم شخصي بل ليكون رمزاً إلى الحياة التقليديّة الماضية التي حاولت مقاومة كل محاولات التدجين رغم ضعفها واستمرت تقاوم وترفض إلى لحظة موتها. وهو حال الشخصية الرئيسيّة في القصة التي لم يُعرف لها اسم سوى وصفها بالعجوز وخاصة بعد استقدامها إلى البيئة الجديدة/بيئة المدينة: «كانت في تلك الأيام هي (الحُرْمَة) لم يعرف لها اسم» [13]. وتشير كلمة (الحُرْمَة) تلك إلى كنيّتها في الزمن الذي قضته في الصحراء، حيث كانت تعجّ بالنشاط والعمل، في حين تغيّر اسمها في القصة عندما انتقلت إلى حياتها الجديدة: «حين كبر الصبية صارت تعرف بـ (العجوز). الشبية مات منذ زمن فصار لا بدّ من استقدامها للعيش في منزل أحد الأبناء» [14]. فهي لم تكن العجوز في بيئتها الأصليّة، ولكن هذا الاسم جاء متماشياً مع الانتقال إلى الحياة

الجديدة فجاءت دلالة العجز والهرم متماشية مع حياتها الجديدة. والاسم هنا يكون محاكياً لواقعها الجديد ومطابقاً له.

3.2 إن الشخصيات هي عنصر أساسي في بناء القصة القصيرة. وسأختار تقسيم عز الدين إسماعيل لها حين قسّمها إلى نوعين: الشخصية الجاهزة أو المسطحة والشخصية النامية، فالأولى هي التي تظهر مكتملة في القصة دون أن يحدث في تكوينها أيّ تغيير وتبقى تصرفاتها ذات طابع واحد. أمّا الثانية أي النامية فهي التي يتمّ تكوينها بتمام القصة فتتطور من موقف إلى آخر ويظهر لها في كلّ موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب جديد منها [15]. ويمكن عدّ الشخصية الرئيسية في هذه القصة ضمن الشخصيات النامية التي تطوّر وضعها وتغيّر بسبب تغيّر البيئة في إشارة إلى حالة من التوافق والانسجام بين الشخصية وبيئتها الأصلية/الصحراء والخيمة وبين عدم التوافق والانتماء والتمرد في بيئتها الجديدة: «اعتادت حياة البادية البعيدة، صحراء ورمال وعطش على امتداد الأفق والصبية الصغار في الخيمة، ويجب الانتهاء من حلب الغنمات قبل المغيب. وخبزة ممزوجة برماد النار هي الوجبة الألد بعد يوم حارّ وشاق ومكّرر. لا، لم يكن شاقاً كان يوماً. كان فقط يوماً. لم يكن مكّرراً. كان يوماً فما عرفت إلا أنّ الأيام يجب أن تكون هكذا، غنماتها بناتها وتيوسها أبناؤها، تعرفهم بالأسماء؛ بالألوان؛ بالأشكال. هم أعلى من أبناء الدم» [16]. تكشف الصورة السابقة عن حياتها القديمة بمشقتها. لكنّ شخصية العجوز كانت متكيفة مع تلك المفردات اليوميّة في حين حصل العكس عند الانتقال وتغيّر البيئة: «في منزل الابن الأكبر كانت الغرفة باردة والفرش بارداً والبيت بارداً. والكلّ بارد. نسيّت أنّ لها صوتاً» [17]. النسيان هنا جاء من عدم التقبّل للبيئة الجديدة بسبب تغيّر المكان والعلاقات والجو العام بأكمله: «ظنّت الخادمة زوجة الابن واستغربت كيف لا تفهم العربية» [18]. هي لم تعتد على وجود امرأة غريبة تقوم بمتطلبات الحياة للأسرة غير المرأة الأم سيدة الخيمة/ البيت، لذلك استغربت من وجود امرأة لا تتحدث العربية فاختلطت عندها الصور ولم تستوعبها. إن هذا التناقض يشير بمجمله إلى الرفض الموجود في

الشخصية الرئيسية في القصة وموها داخل النص من حالة تطابق مع بيتها القديمة الأصلية إلى حالة عدم الفهم وعدم الانسجام مع كل شيء.

3.3 السارد: لا بدّ من وجود سارد في القصة وهو حلقة الوصل بين الكاتب والقارئ وللسارد أنواع. وقد جاء السارد في هذه القصة بصيغة الراوي العليم إذ لم يكن السارد جزءاً من الشخصيات بل كان من خارج النص. وعندما يكون السارد غير حاضر بوصفه شخصية في القصة فإن لهذا الأمر فوائد؛ إذ سيبرز النص إحساساً بالمباشرة والبداهة. ولأن النص منحاز إلى الترابط الزماني والمكاني لشخصية مركزية واحدة فإن القصة تسحب القارئ وتدعوه إلى المشاركة في الخبرة، أي سيصبح مشاركاً في كشف الأحداث. [19]: «يسمونها العجوز. (...)

هي سيدة قديمة، من نساء زمان [20] ... حين اشتدّ البرد رغبت في الانتقال لمنزل الابن الآخر [21] ... أرادت العودة لغنماتها، في وسط زحام الشارع تعرّفت عليها جارة ابنتها» [22]. يستمر النص باستخدام ضمير الغائب (هي) من خلال ما يذكره السارد ليجدّ القارئ نفسه في سعة من الخيال وتصور الحالة التي يطرحها السارد وسيجد نفسه أيضاً مشاركاً في كشف الأحداث وربما إضفاء تصورات أخرى ما دام أن الشخصية ليست هي الساردة.

3.4 المكان/البيئة: من عناصر القصة القصيرة المكان الذي يعدّ وعاء للأحداث التي تجري في النص القصصي، وقد اهتم النقد البيئي بفكرة المكان إذ أثار بويل نقطة مهمة حين فرّق بين المكان والفضاء كمفاهيم جغرافية، إذ يستلزم المكان الموقع المكاني ويشتمل على حاوية مكانية من نوع ما، لكنّ الفضاء مقابل المكان يشير إلى التجريد الهندسي أو الطبوغرافي [23]. وقد سبق الفضاء المكان إذ كان الفضاء أولاً ثم حُدّدت ملامحه بالبناءات [24]. وقد أكّد النقد البيئي على أهمية المكان الذي يؤثر فينا وعلينا والذي هو حسب بويل جزء من قدرتنا العقلانية [25]. وانطلاقاً من هذه الفكرة فقد كان المكان في النص ليس وعاءً حاوياً للأحداث فقط من دون تفاعل بينه وبين الشخصيات، بل كان مؤثراً ومتفاعلاً مع الشخصيات، ذلك التفاعل الذي انتهى بموت الشخصية الرئيسية

بابتعادها عن مكانها الأصلي/الخيمة وابتعادها أيضاً عن فضاءها/الصحراء، إلى البيوت الحديثة في المدينة والذي أدى بدوره إلى موت حيواناتها التي هي جزء من الثروة الحيوانية للبيئة، ذلك الموت الذي حصل بسبب ابتعاد القائم على رعاية تلك الحيوانات وأعني شخصية العجوز.

إنَّ صيغة الحضور إلى البيئة الجديدة وردت بالفعل (استقدم): «فصار لا بدّ من استقدامها للعيش في منزل أحد الأبناء» [26]. ويعود أصل الفعل إلى الجذر الثلاثي (قدم) وأصبح مزيداً بثلاثة أحرف (الألف والسين والتاء). ومن معاني الزيادة في هذه الصيغة الطلب حقيقة أو مجازاً ف «الطلب حقيقة كاستغفرت الله: أي طلبتُ مغفرته أو مجازاً كاستخرجت الذهب من المعدن، سُميت الممارسة في إخراجه والاجتهاد في الحصول عليه طلباً» [27]، ففعل الحضور إلى البيئة الجديدة لم يكن سهلاً لذلك جاءت الصيغة (استقدم) للإشارة الضمنية إلى المحاولات الكثيرة لغرض تغيير المكان بناء على رغبة الأبناء، وهي بذلك تشير ضمناً إلى تشبث العجوز ببيئتها ورفضها المغادرة. بعد رضوخ الشخصية الرئيسية لفعل الاستقدام إلى البيئة الجديدة انقطع ارتباطها الاجتماعي ببيئتها القديمة، والارتباط الاجتماعي بالمكان حسب بويل يمزج بين البشر وبين المكان في حياتهم ويصبح المكان شاهداً على الأحداث التي مرّت بهم ومشاركاً لهم، ومن ثمَّ فإنَّ المكان يُرى ويُسمع ويُشم ويُتخيّل [28]، وهو ما انعكس على الشخصية الرئيسية حينما ابتعدت عن مكانها، فأصبحت تقاوم من أجل استعادة المكان القديم، كأنه استعادة لحياتها الماضية وسعادتها، فخرجت إلى الشارع دون وجهة معينة فقط لتذهب وتعود إلى بيئتها وغنماتها التي أخبرتها إحدى العجائز أنها نفقت، وما كان من أولاد العجوز إلا أنهم قاموا بوضعها في غرفة معزولة ومكيفة مع جلب كلِّ الاحتياجات لها: «أحضرت لها زوجة ابنها أثواباً جديدة، وابنها أحضر لها نعالاً جديدة وابنتها أحضرت لها عبايا وشيلاً جديدة وزوجة ابنها الأخرى أحضرت لها عطوراً وبراقع جديدة» [29].

إلا أن فعل الرفض جاء مباشرة من العجوز، حيث يكشف هذا الرفض عن

تمسك العجوز بالماضي وتشبثها ببيتها المكانية السابقة وبما تحويه من أشياء حية وغير حية: «رمت العجوز كل الأشياء الجديدة في صندوق الزبالة القريب واستعادت ثوبها المرقع ونعالها المتقطعة وراحت تخطيها وتلف عباءتها في صندوقها العتيق المليء برائحة الصدا ورائحة الغنم ورائحة الشبية والخيمة العتيقة» [30]، وهو ما أشار إليه بويل فالمكان يُرى ويُشَم، وهي حين عجزت عن شم المكان الأصلي جاءت بفعل يقرب لها الرائحة بأن استبدلت المكان القديم/الخيمة بشيء آخر: صندوقها القديم الذي يرمز لكل حياتها السابقة فأصبحت ترى فيه المكان وتشم فيه رائحة المكان وتضع أشياءها في داخله كي تتعطر برائحة المكان وكي تسمع العجوز صوت المكان وحواراته: «فقد صارت الخادمة ترفض النوم مع العجوز، فهي تتحدث طوال الوقت حتى في نومها، تقول أشياء كثيرة تنادي على غنماتها وتتشاجر مع شبيبتها وتنادي على صبية صغار ليعودوا للخيمة قبل حلول الظلام» [31]، وهي بفعلها هذا خلقت في مكانها الجديد مكاناً في خيالها يماثل المكان القديم لتعود وتمارس حياتها كالسابق.

إنَّ ما حصل مع الشخصية الرئيسية بسبب ابتعادها عن المكان الأصلي هو نوع من عدم التكيف النفسي، ويدخل مصطلح التكيف ضمن مصطلحات علم النفس ويشير المصطلح إلى «أنَّ الكائن الحي يحاول أن يوائم بين نفسه والعالم الطبيعي الذي يعيش فيه محاولة منه من أجل البقاء» [32]. وما حصل مع شخصية العجوز كان محاولة في التكيف ولكنها عندما وجدت أنَّ الأمر مستحيلٌ ولم تستطع التكيف حاولت أن تجد عالماً محاكياً لعالمها القديم بالرائحة والألفاظ، فأصبح صندوقها القديم هو رمز للبيئة وللمكان المادي السابق بأكمله، عوّضها عن الحيز الجغرافي وأعطاهها الشعور بالرائحة القديمة فضلاً عن استعادة مذاق طعامها القديم: «ماذا تأكل العجوز؟ خطر ببال الابن أن يسأل الخادمة في لحظة تجلي وقت الغداء. تأكل لبن يابس وخبز يخلي في صندوق مال هي» [33].

تحدثت الخادمة بلهجتها غير العربية ولكنها نقلت صورة طعم الأكل الذي

تتناوله العجوز، فلكي تتكيف الشخصية مع مذاق الطعام الجديد بدأت بوضعه في الصندوق القديم ليكتسب النكهة القديمة ولتتمكن من تقبله، إن هذا الفعل يشير صراحة إلى عدم التكيف الكامل مع البيئة الجديدة وإلى اللجوء لخلق بيئة تحاكي بيئتها القديمة رغبة في الوصول إلى تكيف ما يمكنها من البقاء على قيد الحياة.

3.5 الزمان: يعدّ الزمن عنصراً أساسياً من عناصر العمل القصصي، فهو الذي يمنح الأحداث الحيوية والطابع الإيقاعي ويعمل على إثراء المعنى وتوجيهه ليشير إلى معانٍ معينة، وهذا هو الزمن السردى الوظيفي. وأشار جيرار جينيت إلى أن دراسة الترتيب الزمني لحكاية ما تعني «مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها في القصة» [34]، وقد جاءت الأحداث في هذه القصة متسلسلة من بداية مسار الأحداث لحظة وجود العجوز في بيئتها مروراً بحياتها الطبيعية مع زوجها وأولادها وحيواناتها مع التركيز على خصائص البيئة وانتهاء بموتها، تلك اللحظة التي جعلت أبناءها يسألون عن اسمها لأنها كانت تُنادى بكنيتها. ثم ما تلبث القصة أن تعود بالقارئ زمنياً إلى كيف كانت حياتها بشيء أكبر من التفصيل في البيئتين لكن لحظة موتها كانت نقطة وسطية يتم الانطلاق منها أحياناً بالرجوع إلى الماضي أو الانطلاق بها إلى الزمن الذي شكّل مستقبل الشخصية في البيئة الجديدة.

وقد تمكن المنظرّون من ضبط أربع حالات أساسية لإيقاع السرد اعتماداً على العلاقات المختلفة التي تقيمها مدة المقطع السردى الواحد بحجمه النصي وهي الحذف والمشهد والوقفه والخلاصة [35].

سأركز هنا على عنصر الحذف أو كما ترجمته سيزا قاسم بالثغرة وهو أقصى سرعة ممكنة يركبها السرد وتتمثل في تخطيه للحظات حكاية بأكملها دون الإشارة لما حدث. وينقسم إلى نوعين: حذف محدد وحذف غير محدد. في الأول يشير الكاتب بعبارات موجزة جداً لحجم المدة المخصومة على مستوى

الحكاية[36]: «الشيبة مات منذ زمن فصار لا بدّ من استقدامها للعيش في منزل أحد الأبناء» [37].

النوع الثاني، أي الحذف غير المحدد، ينتقل السارد فيه من فترة لأخرى دون أن يكلف نفسه عناء تحديد حجم المدة الزمنية المتخطّاة[38]: «حين اشتدّ البرد رغبت في الانتقال لمنزل الابن الآخر ثم الآخر ثم الآخر ثم الأخرى ثم الأخرى. انتقلت بينهم كلهم. بيوتهم باردة، فأرادت العودة لغنماتها لكنها كانت قد ماتت الواحدة تلو الأخرى»[39].

نجد هنا أن الزمن لم يكن لحظة قصيرة بل استغرق أياماً أو شهوراً وربما أكثر ولكنه سار سريعاً على لسان السارد وبكلمات قليلة للإشارة إلى عدم وجود ملامح جذب في البيئة الجغرافية الجديدة عند العجوز فجاء السرد سريعاً يختصر مدة زمنية طويلة بسطر واحد في إشارة إلى عدم وجود ما هو مثير وجديد في الحياة الجديدة بل كانت عبارة عن عدم تكيف كامل مع المكان الجديد ومع الزمان.

4= فرضيات لورانس بويل للنص البيئي

يعدّ لورانس بويل من أشهر مؤسسي النقد البيئي وارتبط اسمه بدراسات عدّة عن الطبيعة والأدب. وقد وضع بويل مجموعة من السمات ليكون النص مؤهلاً للدراسة وفق النقد البيئي وهي:

1/ أن تكون البيئة غير البشرية موجودة ليس بوصفها أداة إيطارية فقط بل هي حاضرة لتشير إلى أن التاريخ البشري متعلّق بالتاريخ الطبيعي.

2/ أن لا يُفهم من النص أنّ الاهتمامات البشرية هي الاهتمامات الشرعية الوحيدة في النص.

3/ أن تكون مسؤولية البشر تجاه البيئة هي جزء من توجهات النص الأخلاقية.

4/ أن يكون موجوداً في النص كحدّ أدنى إحساس في أنّ البيئة شيء متغيّر وليست ثابتة.[40]

النقطة الأولى في الفرضية تتجلى في أنّ البيئة غير البشرية (الصحراء والخيمة والغنمات والشاة) لم تكن أداة إطارية فقط لحياة الشخصية الرئيسية بل كانت فضاءً مقصوداً أعطى السارد العليم فيه حرية لعقل القارئ أن يتصور مدى تعلّق العجوز مع عناصر بيئتها البشرية (الزوج والأولاد) وغير البشرية (الخيمة والخبزة وحليب الغنمات والصحراء)، وهذا الارتباط هو ارتباط تاريخي ينتمي إلى قاعدة التأثير والتأثر وظهر ذلك جلياً بنفوق حيواناتها بعد ابتعادها عنهم وموتها هي بعد إرغامها على ترك بيئتها.

النقطة الثانية تنطبق أيضاً على هذا النص بشقّين؛ الأول من خلال الشخصية الرئيسية إذ لم يكن اهتمامها بحيواناتها قائماً على تفضيل المصلحة الشخصية لها بل كانت «تعرفهم بالأسماء؛ بالألوان؛ وبالأشكال. هم أعلى من أبناء الدم» [41]. فالعلاقة النفعية غير موجودة في هذا الجزء بل تحولت إلى علاقة روحية ومساواة بين الإنسان وبيئته، وما عانته شخصية العجوز من آلام نفسية دليل على شعورها بالبيئة ومكوناتها التي تجلّت بالمكان والحيوانات.

أما الشق الثاني فقد سلّط النص ضوءاً ناقداً على تصرفات طبقة أخرى من الناس لا تشعر بهذا الشعور وجسدهم بفئة الأولاد الذين تغيّروا ولاؤهم وانحازوا لتفضيل المصلحة الخاصة، فالنص ومن خلال تسليطه الضوء على اهتمامات الأولاد بالجانب النفعي فقط على حساب الطبيعة يمكن عدّه نصاً بيئياً من خلال نقده المبطن لفعل اللامبالاة واللامهتمة بالعلاقة بين الإنسان وبيئته، هذا الأمر الذي أدّى في النهاية إلى موت الطرفين: العجوز وحيواناتها.

أما النقطة الثالثة فتتجسد من خلال المسؤولية الأخلاقية التي حملتها الشخصية الرئيسية تجاه بيئتها وأفعال التمرد التي مارستها فقد حاولت الهروب والخروج من دون وجهة فقط كي تصل إلى بيئتها القديمة فضلاً عن قلقها على حيواناتها وتفكيرها الدائم بها يعطي القارئ توجهاً أخلاقياً تجاه البيئة من الشخصية الرئيسية، إذ فرض عليها هذا الالتزام نوعاً من الشعور بالمسؤولية وضرورة الوفاء لبيئتها.

أما النقطة الأخيرة حسب بويل فيمكن تطبيقها على النص من خلال الإحساس بأن البيئة متغيرة وليست بثابتة وأن فعل الإهمال يمكن أن يؤدي إلى تغيير في موازين الطبيعة، فخروج العجوز القسري من بيئتها أدى إلى موت مجموعة من الكائنات. ولو تمّ تصوّر المشهد مع حالات عدة فإن هذا سيسهم في تغيير بيئي سواء كان بزيادة أو بنقصان وهذا دليل على أن البيئة لا تبقى ثابتة بل هي في حالة تغيير حسب العوامل المؤثرة عليها.

إنّ فعل التماهي مع البيئة جاء بشكل واضح في القصة من خلال خلق لحظة الحبّ الأبدي بين الشخصية وبيئتها، ذلك الحب الذي تسبب بإنهاء حياة الطرفين بعد ابتعادهما عن بعضهما، فثنائية الحياة والموت كانت واضحة في القصة ويمكن تتبعها من حياة طبيعية قائمة على علاقة بين الإنسان وبيئته فاستطاع الإنسان أن يحيا ويكون سعيداً ما دام موجوداً في بيئته، وكذلك البيئة التي بادلت الإنسان هذا الحب ووفرت له المشاعر والعلاقة الحسية بينه وبين الكائنات الموجودة فيها، ثم ما لبث أن ظهر فعل الموت للطرفين بشكل تدريجي بعد أن أنتزع الإنسان من بيئته (رحيل العجوز إلى المدينة) فجاء الموت بسبب الإهمال وفقدان التواصل بينهما ما لبث أن جعل الشخصية/الإنسان يفقد قدرته على التواصل مع الآخرين ويحلم بالرجوع إلى المكان الأصلي الذي يجد فيه صوته. وكانت هذه بداية التهاوي باتجاه الموت الحقيقي للطرفين، فقد ماتت الكائنات وأهمل المكان في إشارة ضمنية إلى أنه أصبح خالياً من الإنسان والحيوان. وبالتزامن مع موت الكائنات ماتت الشخصية الرئيسية أيضاً موتاً حقيقياً.

5= توصلّ البحث إلى النقاط الآتية:

أظهر النص وعياً بيئياً عند الشخصية الرئيسية من خلال تمسكها ببيئتها رغم قساوتها.

تضمن النص شعوراً بالمسؤولية تجاه البيئة وخاصة تجاه الحيوان الذي يعدّ مشاركاً للإنسان في الحياة.

جاءت ثيمة الموت لتُظهر أنّ الإنسان يتأثر ببيئته مثلما تتأثر البيئة بأفعال

الإنسان، فالبطلنة ماتت كمدماً وحنزناً مثلما مات الحيوان بسبب الإهمال والإبعاد القسري لمن كان يرقاه.

يمكن قراءة النص وفق النظرة الأمريكية التي اهتمت بالبيئة، ويمكن تلمس الجانب التهديدى الموجود فى الدراسات الخضراء البريطانية من خلال موت الكائنات وانتهاء بموت العجوز.

وفقاً لنظرية لورانس بويل فقد كانت البيئة حاضرة للإشارة إلى أن الإنسان مرتبط تاريخياً ببيئته. لم تكن الاهتمامات البشرية هي الحاضرة فى النص بل بالعكس، إذ دفعت الشخصية الرئيسية حياتها ثمناً بعد ابتعادها عن بيئتها. اهتمامات الشخصية الرئيسية وقمردها تشير إلى توجهات أخلاقية تجاه البيئة. البيئة فى النص ليست فضاءً جامداً وهي فى حالة تغير تأثراً بالفعل الإنسانى.

= = =

الهوامش

[1] مريم الساعدي، مريم والحظ السعيد، قصص قصيرة، ط1، (القاهرة، دار ملامح للنشر، 2008)، ص 85.

[2] ينظر: بيبا مارلاند، مقدمة فى النقد البيئى ضمن كتاب: النقد البيئى مقدمات، مقاربات، تطبيقات، إعداد وتر: نجاح الجبيلى، ط1 (البرصة، العراق، دار شهريار للنشر والتوزيع، 2021) ص 9.

[3] ينظر: جيلىكا توشيتش، النقد البيئى دراسة بينية فى الأدب والبيئة، تر: سناء عبد العزيز، مجلة فصول، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع102، شتاء 2018) ص 328.

[4] ينظر: وداد نوفل، النقد البيئى الإيكولوجى بين التأصيل التأسيسى والمفاهيمى والطرح التطبيقى، رواية القندس أمودجا، وداد نوفل، (مصر، مؤسسة حورس الدولية، 2022)، ص 10-11.

[5] ينظر: زهيدة درويش جبور، الشعر العربى المعاصر من منظور إيكولوجى، ط1 (لبنان، جروس برس ناشرون، 2022)، ص 13-14.

[6] معجب العدواني، مدخل إلى النقد البيئى ضمن كتاب: النقد البيئى مفاهيم وتطبيقات،

تحرير: أبو المعاطي الرمادي ومعجب العدواني، ط1 (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، مؤسسة الانتشار العربي، 2022)، ص 13

[7] ينظر: بيبا مارلاندر ص 12

[8] ينظر: بيبا مارلاندر ص 12-13

[9] عائشة جمعة الشامي، الشعر الإماراتي في ضوء النقد الأدبي البيئي، (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة)، 2021، ص 5

[10] حسين مجيد حسين، أنسنة المكان في رواية هولير حبيبي لعبد الباقي يوسف، مجلة فقه لاي زانست العلمية، (أربيل، العراق، الجامعة اللبنانية الفرنسية، مج3، ع4، خريف 2018) ص 702

[11] ينظر: عبد المالك أشهبون، عتبات الكتابة في الرواية العربية، ط1 (سورية، دار الحوار للنشر والتوزيع، 2009)، ص 39-40

[12] لسان العرب، ابن منظور، لسان العرب، مادة عجز، مج5 (بيروت، دار صادر، د.ت)، ص 372.

[13] مريم الساعدي، ص 86

[14] مريم الساعدي، ص 87

[15] ينظر: عز الدين إسماعيل، الأدب وفنونه، دراسة ونقد، (القاهرة، دار الفكر العربي، 2013)، ص 108

[16] مريم الساعدي، ص 86

[17] مريم الساعدي، ص 88

[18] مريم الساعدي، ص 88

[19] يان مانفريد، علم السرد مدخل إلى نظرية السرد، تر: أماني أبو رحمة، ط1 (دمشق، سورية، دار نينوى، 2011)، ص 30

[20] مريم الساعدي، ص 85

[21] مريم الساعدي، ص 88

[22] مريم الساعدي، ص 89

- [23] ينظر: وداد نوفل، مرجع سابق، ص 40
- [24] ينظر: وداد نوفل، مرجع سابق، ص 41
- [25] ينظر: وداد نوفل، مرجع سابق، ص 43
- [26] مريم الساعدي، ص 87
- [27] أحمد الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ط1 (بيروت، دار الفكر العربي، 1999)، ص 27
- [28] ينظر: وداد نوفل، مرجع سابق، ص 41
- [29] مريم الساعدي، ص 89
- [30] مريم الساعدي، ص 89
- [31] مريم الساعدي، ص 90-91
- [32] مصطفى فهمي، التكيّف النفسي، (مصر، دار مصر للطباعة، 1978)، ص 9
- [33] مريم الساعدي، ص 90
- [34] جبرار جينيت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي، ط2 (مصر، المشروع القومي للترجمة، 1997)، ص 47
- [35] ينظر: عبد العالي بو طيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج12، ع2 صيف 1993)، ص 137
- [36] ينظر: عبد العالي بو طيب، ص 138.
- [37] مريم الساعدي، ص 87
- [38] ينظر: عبد العالي بو طيب، ص 138.
- [39] مريم الساعدي، ص 88
- [40] Buell, L. (1995). The environmental imagination: Thoreau, nature writing and the formation of American culture. Cambridge, Mass. Belknap Press of Harvard Univ. P. 7-8.
- [41] مريم الساعدي، ص 86

المصادر والمراجع

- إسماعيل، عز الدين. الأدب وفنونه، دراسة ونقد. القاهرة: دار الفكر العربي، 2013.
- أشهبون، عبد المالك، عتبات الكتابة في الرواية العربية. سورية: دار الحوار للنشر والتوزيع، 2009.
- توشيتش، جيليك، النقد البيئي دراسة بينية في الأدب والبيئة، تر: سناء عبد العزيز. مجلة فصول. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع102، شتاء 2018.
- جينيت، جبرار. خطاب الحكاية بحث في المنهج. تر: محمد معتمد وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي. مصر: المشروع القومي للترجمة، 1997.
- حسين، مجيد حسين، أنسنة المكان في رواية هولبر حبيتي لعبد الباقي يوسف، مجلة قه لاي زانست العلمية. العراق: الجامعة اللبنانية الفرنسية، مج3، ع4، خريف 2018.
- الحملوي، أحمد. شذا العرف في فن الصرف. بيروت: دار الفكر العربي، 1999.
- درويش جبور، زهيدة. الشعر العربي المعاصر من منظور إيكولوجي. لبنان: جروس برس ناشرون، 2022.
- الساعدي، مريم، مريم والحظ السعيد، قصص قصيرة، القاهرة: دار ملامح للنشر، 2008.
- الشامسي، عائشة، الشعر الإماراتي في ضوء النقد الأدبي البيئي. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، دائرة الثقافة، 2021.
- بو طيب، عبد العالي. إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول. مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، مج12، ع2 صيف 1993.
- فهمي، مصطفى. التكيف النفسي. مصر: دار مصر للطباعة، 1978.
- مارلاند، بيبا. مقدمة في النقد البيئي ضمن كتاب: النقد البيئي مقدمات، مقاربات، تطبيقات، إعداد وتر: نجاح الجبيلي. البصرة، العراق: دار شهريار للنشر والتوزيع، 2021.
- معجب العدواني، معجب، وأبو المعاطي الرمادي. النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات تحرير. الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: مؤسسة الانتشار العربي، 2022.
- ابن منظور. لسان العرب. مج5. بيروت: دار صادر، د.ت.

نوفل، وداد. النقد البيئي الإيكولوجي بين التأصيل التأسيسي والمفاهيمي والطرح التطبيقي، رواية القندس أنموذجاً. مصر: مؤسسة حورس الدولية، 2022.

يان مانفريد. علم السرد مدخل إلى نظرية السرد. تر: أماني أبو رحمة. دمشق، سورية: دار نينوى، 2011.

Buell, L. (1995). The environmental imagination: Thoreau, nature writing and the formation of American culture. Cambridge, Mass. Belknap Press of Harvard Univ.

فراس حج محمد

إطالة على نشأة النحو العربي



مقدمة

يرتبط علم النحو بعلوم اللغة الأخرى، لكنه هو العلم الأكثر بروزاً في الحركة العلمية العربية، وخاصة في أولياتها، ولعلّه المعرفة الأولى التي تم الاهتمام بها وتقعيدها قبل أي فرع من فروع المعرفة، وما ذلك إلا لارتباطه بالشعر، فقد ورد أن الشعر علم العرب، «والم يكن لهم علم أصحّ منه» [1]. فالنحو مفهومه العام لا بد من أن يدخل

في التركيب الكلي للجملة في اللغة العربية، وهو بلا أدنى شك المعيار الأساسي في جودة الكلام وبلاغته، فإن لم يكن المتحدث يتقن اللغة العربية لا يحفل بكلامه، فقد ورد عن يحيى بن خالد قوله: «ما رأيت رجلاً قط إلا هبته حتى يتكلم، فإن كان فصيحاً عظّم في صدري. وإن كان قصّراً سقط من عيني» [2]. كما انتبه الشعراء إلى هذا، فقال أحدهم [3]:

النحو يصلح من لسان الألكن = والمرء تكمره إذا لم يلحن
وإذا طلبت من العلوم أجلاً = فأجلّها منها مُقيم الألسنِ
انتقال العربية من الشفوية إلى الكتابية

لم تكن اللغة مكتوبة في أصلها، وفي أغلبها، ما خلا نصوصاً معينة من موثيق ومعاهدات عربية جاهلية قديمة، فاللغة - إذاً - كانت متداولة بين الناس، على

نهج معين، ولم تدوّن بشكل منهجيّ إلا في عهد الإسلام، عندما بدأ كُتّاب الوحي بتدوين القرآن الكريم، وكان التدوين الأول للقرآن خالياً من التنقيط، ومن التشكيل، إنّما هو رسم للكلمات، ويعتمد في قراءتها على المعنى والسياق، وهذان أمران كانا سببين رئيسيين في اختلاف القراءات بين الرفع والنصب والجر لبعض الكلمات، وحتى بين كيفية نطق الكلمات واختلاف حروفها بين منقوطة أو مهملة كما في قوله تعالى على سبيل المثال: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا» [4]، وقرئت أيضاً «فتثبتوا» لأن الكلمة كانت خالية من التنقيط فجازت فيها القراءتان [5]. ولورود هذه الظاهرة في اللغة العربية عقد لها صاحب كتاب المزهر باباً خاصاً أسماه «معرفة ما ورد بوجهين بحيث يؤمن فيه التصحيف» [6]. وإن الاختلافات بين القراءات القرآنية ذات المنشأ النحوي كثيرة، وتشكل ظاهرة فيه. ولكن ما علاقة كل هذا في نشأة النحو العربي؟

كثير من الباحثين يرجعون تطور علوم اللغة العربية إلى الاهتمام بالقرآن الكريم، بل إن بعضهم قد جعل علوم القرآن في قسمين؛ الأول ما يتصل بالقرآن الكريم مباشرة من تفسير ورواية وقراءات وفقه، والآخر ما اتصل بالقرآن الكريم لأنه يلزمه فهمه، كعلوم اللغة كلها بما فيها علم النحو. فعند هذا الفريق من العلماء كان القرآن الكريم سبباً جوهرياً لا في حفظ اللغة العربية فقط، بل في تطورها وتنعيمها على النحو التي سارت عليه بعد ذلك. لكن ثمة إشارات في العصر الجاهلي تشير إلى أن العرب قد انتبهت إلى ما قد يقع فيه المتحدث من لحن، وإن تم رصد تلك الشواهد في بداية الإسلام، إلا أنها تشير إلى وقوع العرب في اللحن أيام الجاهلية [7].

انتشار اللحن وبداية الدرس النحوي

إذاً فإن السبب الرئيسي في الاهتمام بعلم النحو كان اللحن، وانتشاره شيئاً فشيئاً حتى فشا، فوجد من العلماء من اهتم به، واستوى على سوقه في ما بات يعرف بالمدارس النحوية الكبرى، البصرية والكوفية والبغدادية، ومن ثم المدرسة المصرية.

لكنَّ اللحن في القرآن الكريم والخشية من أخطاء القراءة لم تكن العامل الوحيد لنشأة علم النحو، بل إن الناظر في كتب التراث يلحظ بعدا قوميا في الاهتمام بهذه اللغة، خوفا عليها من أن تلتبس بلغة الأعاجم، فسار الأمر بمسارين متوافقين، الأول تنقية اللغة من الدخيل، وألفت فيها الكثير من الكتب، والأمر الثاني سلامة النطق والكتابة، وسلامتهما، تعني فيما تعني سلامة الكلام من اللحن، وقد جعل ابن قتيبة في كتابه أدب الكاتب بابين، أحدهما «تقويم اليد» والآخر «تقويم اللسان»، وناقش في هذا الباب قضايا مختلفة بين الكلام العامي والكلام الفصيح[8].

على الرغم من أن اللحن يشمل اللغة والنحو معاً، فاللفظ الأعجمي المستخدم في كلام العرب كان يعد لحناً فيها، لأنه ميل عن استخدام العربية إلى غيرها، ويعد نقصاً في لغة المرء المتحدث والكاتب، لذلك حرصوا دوماً على أن تظل اللغة سليمة من الدخيل، وإن اضطروا إلى ذلك عَرَبُوا اللفظ، فوجدت كتب تعالج هذه الظاهرة اللغوية «المعرب والدخيل»، وبناء عليه جاء النحو وتمت مناقشته في مرحلة تالية للبحوث اللغوية المتجهة إلى الألفاظ أولاً قبل الإعراب والتركيب اللذين هما محل النحو أو وظيفته الأخيرة، وهي وظيفة عملية.

ويذكر ابن سلام الجمحي أن أهل البصرة كان لهم قدمة في العربية، «وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود الدؤلي»، بعد أن «اضطرب كَلَامُ الْعَرَبِ فَغَلَبَتْ السَّلِيْقِيَّةُ وَلَمْ تَكُنْ نَحْوِيَّةً فَكَانَ سَرَاهُ النَّاسُ يَلْحَنُونَ وَوَجُوهُ النَّاسِ قَوْضِعُ بَابِ الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ بِهِ وَالْمُضَافِ وَحُرُوفِ الرَّفْعِ وَالنَّصْبِ وَالْجَرِّ وَالْجَزْمِ»[9]. إن في هذا إشارة مهمة لمن يدقق في المعنى حيث أن لحن الخاصة هو المقصود وليس لحن العامة، لأن الخاصة الذين عبّر عنهم بقوله «سراة الناس» هم من بدأوا يلحنون، كما سجل على الحجاج لحنه في القرآن الكريم[10]. فإذا بدأ سراة الناس - وهم خاصتهم - باللحن، فمعنى ذلك أن اللحن أكثر شيوعاً عند عامة الناس، وفي أسواقهم وفي

معالجة شؤون عيشتهم، بل إن المنطق يقول إنهم لم يكونوا يعربون الكلام؛ أي لم يحققوا الرفع والنصب والجر.

بالمجمل فإن ما شاع من توسع لغة العرب، من خلال اختلاطهم بشعوب البلاد المفتوحة جعلهم يلتفتون إلى أهمية المباشرة في تقعيد النحو، ولكن قبل أن توجد المدارس النحوية كانت هناك جهود نحوية اتصلت بنقط المصحف على يدي أبي الأسود الدؤلي، ثم وضعه لعلم النحو الذي أخذه عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه[11]. ويرى الباحث حسن عبد الجليل العبادلة أن «نقط الدؤلي هو نقط إعراب -يدل على الحركات الإعرابية- وليس نقط إعجام»[12]. بمعنى أن جهود الدؤلي كانت جهودا نحوية، وليست جهودا لغوية تتعلق بكتابة الحروف العربية، ولا يريد منها التفريق بين الحروف المتشابهة التي تلتبس في القراءة معجمة أو مهملة كما هو الحال في (ح، ج، خ) على سبيل المثال.

يرى الناظر في المصادر ذات الصلة بموضوع الدرس النحوي واستقرار مذاهبه أن البصرة كانت المنشأ الأصلي لهذا العلم. ومن أبناء البصرة المساهمين في نشأة النحو العربي غير الدؤلي، ابن أبي إسحاق الحضرمي، الذي يصفه شوقي ضيف بأنه «أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة»[13]، وتبعه أيضا في ذلك كل من عيسى بن عمر، وأبو عمرو بن العلاء، ويونس بن حبيب.

بدأت تتشكل المدارس النحوية، ونشأت مسائل الخلاف بين العلماء، وفي بداية أمرها لم تكن قاطعة في حديتها، فتجد أن بعض البصريين يوافق بعض الكوفيين في مسائل الخلاف، أو العكس، وبقي الأمر كذلك حتى ترسخ المفهوم المذهبي المدرسي النحوي بين أتباع المذاهب، فكان البصري بصريا لا غير الكوفي كوفيا لا غير، ونشأت المدرسة البغدادية التي تحاول التوفيق بينهما، وهكذا حتى امتد الأمر إلى وجود المدرسة المصرية والأندلسية، ولكل رأيه ونحوه وتفسيره.

وكان لهذه الجهود النحوية التي أسس لها البصريون الأثر الكبير في إزهار الدرس اللغوي والنحو الذي أخذ يستقل تدريجيا عن الدرس القرآني ليخط له مسارات في علم المنطق والفلسفة، وقد ناقش هذه المسألة الباحث صلاح عبد

الكريم المبروك عمر في بحثه الموسوم بـ «العلاقة بين النحو العربي والمنطق دراسة وصفية تطبيقية»، ويرى الباحث «أن المنطق ليس سبباً في نشوء النحو العربي، وليس إحدى ركائزه، ولكنه في طور من الأطوار استخدمه بعض العلماء لرسم حدود المسائل النحوية» [14]، ومناقشتها، وحتى مصطلحاتها الأساسية والفرعية، وطريقة الجدل بين العلماء التي ابتعدت عن السماع، ودخلت إلى باب القياس، والقياس نفسه هو طريقة منطقية استخدمها الفلاسفة في مناقشة بعض قضايا العقيدة الداخلة في علم الكلام.

= = =

الهوامش

- [1] الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001، ص 34
- [2] التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1988، ج 5، 207.
- [3] القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، أدب المجالسة وحمد اللسان، تحقيق: سمير حليبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط 1، 1989، ص 61.
- [4] القرآن الكريم، الحجرات، آية (6)
- [5] يُنظر الخلاف في تحليل القراءة تين كتاب: الخالدي، صلاح، القرآن ونقض مزاعم الرهبان، دار القلم، دمشق، ط 1، 2016، ص 644.
- [6] السيوطي، جلال الدين، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998، ج 1، ص 415 وما بعدها؛ الباب السابع والثلاثون.
- [7] ينظر: الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987، ص 7
- [8] ينظر: ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1985، ص 307، ص 431.
- [9] الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، مرجع سابق، ص 29.
- [10] ينظر: ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط 7، د. ت، ص 12.

[11] ينظر: العبادلة، حسن عبد الجليل، أبو الأسود الدؤلي وجهوده في نقط المصحف، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 34، العدد 1، 2007.

[12] السابق، ص 142.

[13] ضيف، شوقي، المدارس النحوية، مرجع سابق، ص 22

[14] عمر، صلاح عبد الكريم المبروك، العلاقة بين النحو العربي والمنطق دراسة وصفية تطبيقية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، المجلد 28، عدد 1، 2020، ص 313.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأفغاني، سعيد، في أصول النحو، المكتب الإسلامي، بيروت، 1987.

التوحيدي، أبو حيان، البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، بيروت، ط 1، 1988.

الجمحي، ابن سلام، طبقات فحول الشعراء، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001.

الخالدي، صلاح، القرآن ونقض مزاعم الرهبان، دار القلم، دمشق، ط 1، 2016.

السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998.

ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، ط 7، د. ت.

العبادلة، حسن عبد الجليل، أبو الأسود الدؤلي وجهوده في نقط المصحف، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 34، العدد 1، 2007.

عمر، صلاح عبد الكريم المبروك، العلاقة بين النحو العربي والمنطق دراسة وصفية تطبيقية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الإنسانية، المجلد 28، عدد 1، 2020.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 2، 1985.

القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، أدب المجالسة وحمد اللسان، تحقيق: سمير حليبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط 1، 1989.

إيناس ثابت

الصلاة الأخيرة

وقف أمامي كاللص هزيلا شاحبا مخيفا كمشخ رهيب ينتظر الفريسة. شعره مجعد، عيناه جاحظتان وفمه الأبخر شديد الاتساع. أما شفته السفلى فتتدلى حتى تكاد تبلغ منتصف الذقن. لبشرته سُمرة داكنة وعلى خده الأيسر أثر جرح قديم. مسافة قصيرة تفصل بيني وبينه، وستائر الغرفة القائمة المسدلة عند الغروب أشاعت العتمة، وأضفتُ على المكان خوفاً وخشية.

كان يقف وحيدا في منزلي ينتظر عودتي من العاصمة، حيث أعمل صحافية وناشطة اجتماعية معروفة في الوسط المحيط. سمعتُ فيما مضى عنه وعن دمامته الشديدة، من خلال قصة قديمة روتها لي جدتي. لكنني لم أكن قد قابلته أبدا والقصة التي روتها جدتي عنه كانت أقرب ما تكون إلى الخيال منها إلى الحقيقة. وتقول القصة إن امرأة ساحرة من «المهمشين الفقراء»، فاتنة وسمراء ورقيقة كزهرة اللوتس، قدمت إلى البلدة مع زوجها وفي أحشائها جنين. كان زوجها عاملا فقيرا يخدم في البيوت، كغيره من أبناء طبقته مقابل أجر هزيل، ومسكن حقير من صفيح معدني، بعيدا عن مجمعات باقي بيوت أبناء البلدة، ممن يثيرهم ويغضبهم سكنى هؤلاء الفقراء بالقرب من مناطقهم.

كانت السيدة الفاتنة السمراء تجلس غالبا على صخرة مرتفعة تحت عين الشمس، لتصنع بأناملها الرقيقة الناعمة سلالاً ذهبية من خيوط الشمس. خاف الناس منها رغم جمالها الساحر وحذروا الاقتراب منها، فكيف لامرأة مخلوقة من طين البشر مثلنا أن تلامس خيوط الشمس وتطوِّعها حسبما تشتهي وتريد؟

أنجبت المرأة للعالم مسخاً صغيراً دميماً أسمته رفيق. رفيق هو بعينه المائل أمامي هذه اللحظة.

حينما مات زوجها لم يرَ أحد جثته أو يحضر جنازته، فشاعت عنها أخبار تقول إنها أكلت جثته. ومن حينها لم يرها أحد تجلس على الصخرة، لتلمس خيوط الشمس وتصنع منها سلالها الذهبية. وحينما ماتت هي الأخرى بعد سنوات قليلة، لم يتعهد أو يتطوع أحد لتربية طفلها الذي أمسى بلا أب ولا أم، فعاش وحيداً يأكل بما يتصدق عليه الآخرون سرّاً.

ما روته جدتي يشبه خرافة يصعب تصديقها حتى وهي تقسم أغلظ الإيمان، فكيف يصدّق أهل البلدة أن امرأة جميلة يحاكي وجهها جمال القمر أن تنجب طفلاً بهذه الدمامة؟ لم يخطر في بالي على الإطلاق أن يكون هذا الإنسان على هذا القدر من القبح والدمامة، فشكله وحده كان كفيلاً أن يخلع قلب أشجع الرجال، والأدهى أنه دخل منزلي ينتظر عودتي دون إرادة أو رغبة مني.

قال لي بصوت مخنوق لم أكد أسمعته: «أنا شديد الأسف لاقتحامي منزلكِ بلا استئذان، فلم أجد حلاً بديلاً غير اللجوء إليك بعد يأتي من الحصول على وظيفة ترحم حالي وقد نبذني من في البلدة جميعاً. فلم يبق أمامي إلا أن أراهن على صوتك المسموع العالي، في الدفاع عن الحق والمساواة في الإنسانية دون النظر إلى وجهي أو أصلي وفصلي».

لم أعاتبه أو ألمه على اقتحامه بيتي، وشعرت في لهجته عزة نفس لم أكن أتوقعها منه. أما وأني قد نذرت نفسي لأعمال الخير ومساعدة الآخرين، وكل ما من شأنه أن يليق بكرامة الإنسان، فقد عملت مع مجموعة من الشباب الناشطين على إنشاء جمعية، تتولى الإشراف والعناية بمن كانت أوضاعهم مشابهة لوضع هذا الرجل الدميم، وسط طبيعة ريفية مؤاتية تساعد على إنشاء مثل هذه الجمعية.

لم أتعجب من حديث رفيق، فجنون المدينة وطبقيتها وعنصريتها اجتاحت البلدة أيضاً وشوّهت بساطتها، فاستفهمتُ منه أكثر عن أمره وحاله، وعرفتُ أنه منبوذ مطرود ومهان بلا أي قيمة أو حقوق، يراه الجميع في صورة شيطان

لسوء خلقته وأصل أسرته، فانكمش على نفسه حتى بلغ الذروة في ألمه ووحده وصمته.

دهمني كثير من الحزن لسوء أحواله وعزمتُ على مساعدته، فباشرت في تعليمه القراءة والكتابة في الجمعية ووظفته عاملاً في هذه المؤسسة الصغيرة التي أنشأتها بمساعدة الناشطين الآخرين، فسان الأمانة وعمل بإخلاص وإتقان، وكان وديعاً ذكياً قليل الكلام وصاحب قلب كريم. لكأن الحياة القاسية لم تنل من روحه فتركته ولداً على سجيته وفي كامل الطفولة. كانت طبيته وسماحة روحه تتجلى في أقواله وأفعاله، حتى غدت نفسه هي الجمال بعينه. حاولت ما أمكنني أن أمسح غمامة الحزن والوحدة عنه في انتشاله من غربته ووحده القاتلة، ومن ظلمات تلك الأرواح العنصرية المستبدة، فكنْتُ له خير معينة على سوء حاله. ورأيت أمل الحياة يشرق من جديد في عينيه وقلبه.

اقتربتُ منه كثيراً وأيقنْتُ أن خيبته بالآخرين هي التي شكلت القبح على وجهه. وبعض هؤلاء أقبح من القبح نفسه، والله حينما خلقنا إنما فعل لا لكي نتميز عن الآخرين، أو يكره بعضنا البعض الآخر. هم كرهوا صورته واختلافه في الأصل عنهم. وكادوا أن يسدوا عليه أبواب الرحمة السماوية. ولكن الجمال الحقيقي لم يكن إلا في قرارة نفسه.

صدق قلبه وكذبت وجوهكم وألسنتكم. إنه أنبل من عرفتُ في هذه البلدة، إنكم تنظرون إلى صور بعضكم في المرأة وفي وجه الماء وفي عيون الآخرين ولا تنفذوا إلى العقول والقلوب. من كان منكم وجهه كوجه البدر هو الأقبح في عيني لسوء ضمايركم. لو حملتم الخير في أنفسكم لما نبذتموه هذه السنوات الطويلة، وما سكن أغنياؤكم قصوراً وفقراؤكم أكواخاً من الصفيح، وما أكل أغنياؤكم شحمًا ولحمًا في صحاف الذهب والفضة وباتت بطون فقرائكم على الخواء. ومن استعبدتموهم في قصوركم خُدماً تجودون عليهم بأبخس الأثمان وفضلات الطعام، وفرقتم بين فرد من خارج البلدة وآخر بداخلها وبين المذاهب والأديان، أما هو فلا يعرف شيئاً من سوء نفوسكم، لكأنه مخلوق الآن من صلب أبينا آدم وهابط من جنان السماء، ولو كانت القلوب موصولة بخيط

للوجه لتمييز لونه عن لونكم، فغشاكم سواد القلوب وكان لوجهه نور وإشراق. حدق بي وقال لي بحزن عميق: «أيمكن لإنسان أن ينظر خلف وجهي؟ لقد أضفت إلى حياتي معنى وحولتني من قبيح مضطهد لا يعرف معنى الجمال إلى إنسان مليء بالحياة. إن الإنسانية والحق والمساواة جميعها ولدت من رحم المحبة، وإن المحبة التي تملأ قلبك وتفيض منه خلقت الإنسان الذي أكونه الآن، وما لبشر يرى هذا القلب ويلمس أوتاره إلا السقوط والطواف حوله، فهل تقبلين الزواج بإنسان له هيأتي؟»

ترددت في الإجابة عن سؤاله، فلم أستطع تخيل وجهه الدميم نائماً بجانبني أو يديه اللتين تعكسان تعاسة وجهه تمسك بيدي. لم أتخيل طلبه هذا. كنت أدرك تماماً أنه يملك قلباً طاهراً وضميراً نقياً، إلا أن وجهه سيراقتني صباحاً ومساءً. لن أتحمل. هذا لكن أئى لمن ينادي بالحق ونبذ التفرقة مثلي أن يقول أو يفعل خلاف ذلك؟ أجبت كمن يرغب بإكمال دور البطولة: «وما الضير في طلبك هذا، القلب وحده مرآة الذات يا صديقي».

أدركت يومها واكتشفت ذاتي بأنني لست صورة خالية من العيوب تعكس صدق أفكارى وكلامي، وأني أحمل في داخلي صفاتٍ طالبتُ بوأدها إيماناً مني أنى منزهة عنها. كنتُ أشبه الجميع وربما أسوأ، فهم أظهروا حقيقتهم وأنا لم يسمح كبريائي بإظهار حقيقتي. في اليوم التالي صليت صلاتي الأخيرة في البلدة، ثم حملتُ حقيقتي فجراً، وتركتُ له رسالة لم أجد غيرها حلاً، كتبتُ فيها:

«عزيزي رفيق: لا أستطيع رفض قلب جميل كقلبك يا صديقي. لكن لا ينبغي لمن نذرتُ نفسها لخلص البائسين المنتظرين في المدينة أن تتخلى عما التزمت به معهم. إني راحلة إليهم، وإن شاءت لنا الأقدار يوماً سنلتقي. وحتى ذلك الحين فأني أتركك في عناية الله وحفظه. وداعاً يا صديقي. لكنني أرجو أن تمشي في طريقك واثقاً وشامخاً ومعتزاً بنفسك».

ثم اتخذت قراري، وعاهدتُ نفسي ألا أعود إلى البلدة أبداً، راجية أن يجد رفيق قلباً نقياً طاهراً أفضل من قلبي.

د. فراس ميهوب

بين سيف نيرون وعيني جوستينا



غرقت من جديد في بحر ذاكرتك القريبة جدا،
انتبهت أخيرا إلى جوستينا، هذه الجميلة.
كانت فعلا أجمل مما توهمت، وكعادتك ترى
التفاصيل متكوّرة في حزن النظرة العامة. وكنت
قد أهملت أي اهتمام مفرد بأي إنسان ولو كان
أنثى بهذا الحُسن، لكن تجاهل جوستينا كان ممكنا
لأعمى أو أطرش فقط، فقدرتُ بعد أيام قليلة على
أن تأسر منك العين والأذن.

نظراتها وهي تحديق في داخل عينيك، وترمي في وجهك المتعب كل هذا
التحدي القاهر، إن كنت قادرا على الإفلات فافعل. جريئة بتلقائية، دون أن
تواري خجلا عميقا يطفو إلى السطح مع كل محاولة منك للاقتراب من غموضها
الساحر. مزيج غريب من ملكات تدفع للأمام بلا وجل، وإعاقات صغرى غائرة
في النفس، فلا يمكن نسيانها.

شعرها الخرنوبي أو الكستنائي، لا تعلم على وجه التحديد، تهت في تحديد
لونه الدقيق، أملس متروك قسمه الأمامي إلى ما تحت الصدر الأيسر، وبيتعد
في الجهة اليمنى إلى الخلف، نظراتها العميقة من عينين لا تعلم حقا لونهما:
أهو أخضر أم أزرق فاتح؟ وجه حاد القسّمات لامع مع شفّتين رقيقتين دون
إفراط، أنف ينحدر ويندمج بأناقة مع الخدين البرّاقين.

ما فوق العينين حاجبان متناسبان مع تضاريس الجبهة، يتعدان في المنتصف لتبدو عالية موحية بسحر أَخَاذ، وذكاء أنثوي متجاوز لكل عادي أو متوسط. أكثر ما يستفز في وجه جوستينا ذقتها المدور كأنه يدفع عنها العين الناظرة بفضول.

توقفت لتستذكر تفاصيل جسدها، وقامتها المائلة للطول التي تفضح ولا تخفي سحر المرأة المؤهلة باقتدار لنفض غبار المعاناة عن قلبك المنهك. صرت وحيدا أمام جوستينا وهي غائبة، ويا ليتك ما صرت! تسلت جوستينا إليك، انسقت إلى أحاديثها، هي تتكلم، وأنت تصغي، أطالت واسترسلت، ومرت الساعات. في ذلك المساء، سرت كهرباء حارة في جسدك، انقلب الإحباط المقيم إلى طاقة هائلة، اجتاحت باطنك كله. إن لم يكن هذا حبًا فما هو؟

وصلت إلى منزلك، واجهت المكتبة، بحثت عن كتاب تقضي معه ما تبقى من ليل، أصابك الإنهاك، تذكرت الكتب التي اشتريتها من معرض الكتاب الأخير، أعدت استعراض العناوين، تجاوزت كتابين إلى ثالثهما.

عنوان الكتاب «شهداء المسيحية». باشرت كعادتك قراءته بتفاصيله من اسم الناشر إلى سنة النشر، الكاتب، الغلاف الجلدي السميك، المقدمة، وانتهت إلى مضي أكثر من عشرين عاما على طبعه. توقفت أمام شهداء نجران، رمزية القصة، وشهرتها الكبيرة في التاريخ. قرأت عن بولس، والشهيدة تقلا.

تصورت نيرون في ساعاته الأخيرة، وهو في غاية الإنكار لمصيره المحتوم، الموت الذي ما فتى يهديه للآخرين بكلمة بسيطة منه، داني عنقه، والحرائق التي أشعلها في قلوب الثكالي قاربت ثوبه، وكادت تلامس جبهه.

اجتاحه داء المستبد الذي يظن أن عقارب الزمن تحت أقدامه للأبد، ولم يخطر له أنها في لحظة غفلة منه، قد تفلت وتحقق في أوردته مصل الفناء المذل. فكره الضحل الموزع كالأقدار على عقول البشر، ملزم لهم بالطاعة العمياء. ليس لهم إلا حق التعبير عن الولاء بطرق شتى، ولمن يأبى السجن والموت.

انفعلت مع المنفعلين، ورأيت نفسك تفر من الموت الطافر في أحياء روما،
توشك سنابك الجياد العالية أن تدوس ظهرك. تلتفت ذات اليمين فيأسرُ بصرك
مشعل وحيد مضيء، يُفتح لك الباب، تطل منه شابة، قدّرت عمرها بثلاثين عاما
أو أقل بقليل، ترتدي ثياباً سود، تنتهي على الرأس بقلنسوة واسعة، تنسدل على
الوجه الأبيض خصلات شعر، تتموج ألوانه بين الأشقر والأسود الفاتح.

نادتك الصبيّة باسمك السري الذي لا يعرفه إلا أمك وأبوك، دعتك للدخول
إلى البيت المشعشع الأنوار، طغا نور وجهها على أضواء الحجرة الأولى فاستحال
كل ما فيها إلى خلفية خافتة.

رأيت فيما رأيت صلبانا، وغصن زيتون أصفر. تخيلت وجود قرآن مفتوح
على سورة مريم، على قاعدة من خشب فينيقي محفور.

اختلطت في عينيك التخاطيط والصور، الأمكنة والعصور، غزتك طمأنينة
مفاجئة، لولا أن أصبحت بعد هنيهات وحيدا.

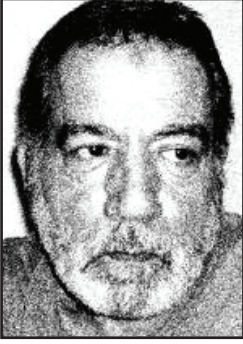
اختفتِ الشابة الوداعة، خرجت من المنزل، كان جنودُ نيرون قد ابتعدوا،
والفجر قد أرسلَ خيوطه الأولى فوق المدينة المحترقة. رأيت رجالا بثياب بيض
بأيديهم أجهزة إطفاء كبيرة، ينظرون إلى جهة النار. خرجت من الصنابير
الطويلة تيارات ماء، شعرت بالرداذ البارد، أحال الحرائق وركامها إلى بقايا
صغيرة، فاضمحلّت واندثرت.

خرجت من روما، وعدت إلى كتابك، هالتك كثرة الشهداء الأطفال والنساء:
بوتامنيا، برييتوا، ثيودورة، فبرونيا، بربارة، رفقة، صوفيا، وأخيرا جوستينا.

شككت بدقة الأوصاف الطائرة عبر التاريخ لأناس عاشوا وماتوا قبل مئات
السنين، لكن يقينا رسخ في قلبك مع نظرة أخيرة لوجه جوستينا. أغلقت
الكتاب، وئمت، والغد لا بد آت.

زكي شيرخان

هو وصباح وجاسم



كيف يمكن لمن تدلى من سقف لأكثر من ساعتين،
مربوطاً من رجليه ومقيد اليدين خلف ظهره أن
يتذكر من بين آلاف الوجوه التي انطبعت في ذاكرته
عبر مراحل حياته المتعددة هذه العاهرة التي لا
يتذكر كم من السنوات مضت على لقائه بها لساعات
معدودة هي ما تستغرقه الرحلة بين بغداد والبصرة؟
هوت، مُختارة من دون كل المقاعد، المعقد المجاور
لمجلسه. لم تكن بحاجة للتأفف كي تعلن عن وجودها

إلى جانبه، فما فاح من عطرها أدى المهمة بنجاح. حياؤه الذي لازمه منذ طفولته
منعه وكالعادة من أن يستدير نحوها. تحيتها التي ألقها عليه ردها وعيناه
شاخصتان على الصحيفة التي يقرأ مقالها الافتتاحي. افتتحت تعارفها بسؤاله:

= كم تستغرق الرحلة؟

= لا أدري، يمكنك أن تسأل السائق عند بدء مسيره.

= أأضيقك إن دخنت؟

لم تنتظر إجابة منه بل استطردت:

= هذا سؤال غبي فعلمة سجاارك ها هي في جيب قميصك.

هذه المرأة شتت تركيزه. هذا المقال الافتتاحي المسلسل لا بد من قراءة ما
بين سطوره لأنه قد يشي بنوايا وتوجهات النظام. الجزء ان الأول والثاني أوصلا

الرسالة بأن الشأن الداخلي ليس هو وحده محور اهتمام النظام. ما استوعبه مما قرأ من الجزء الثالث يؤكد أن على دول المنطقة أن تستعد للاعب جديد. عنوان المقال «المنطقة ماذا وإلى أين؟» يؤكد استنتاجه.

= يبدو أن مجاورتي لك قد ضايقتك.

التفت إليها دون أن يرفع عينيه إلى وجهها قائلاً بما يشبه الاعتذار:

= لا، لا، أبداً.

دفعت يدها باتجاهه مصافحة وهي تقول:

= اسمي صباح.

أدنت رأسها من رأسه. همسها اقترن بضحكة خافتة.

= طبعاً هذا اسمي الحركي، أو المهني.

ضغطة يدها شنت ما تبقى من تركيزه. مؤشر منتهى حرجه بان بسرعة من ارتجاف يده التي سحبها بسرعة وبشيء من عناء لتمسكها به. استدار بأسرع مما سحب يده. ترك الصحيفة ترقد على فخذيه خوفاً من أن يشي اهتزازها بارتجاف يديه. استجمع شيئاً من جرأة لم يستطع الخجل طمرها. قال بصوت خفيض:

= أرجو أن تأخذي بنظر الاعتبار أنك في حافلة كبيرة وأن الأنظار تتجه نحوك.

النظرات والهمسات المتبادلة بين الجالسين سرعان ما ستتحول إلى...

قاطعته وهي تدي رأسها من رأسه ثانية:

= من أول صعودي الحافلة عرف الجميع من أكون، هذا من ناحية. أما من

الناحية الثانية فأنا لا أحب أن أرتدي غير رداي ومهما بالغت في إخفاء ما

أنا عليه فعلاً فسأكتشف. لا بد وأن هناك عين مبصرة من بين كل العيون

التي أصابها العمى. لا بد وأن يكون هناك عقل، من بين العقول التي

تبلدت، يملك من الذكاء ما يميزني عن الأخريات. إضافة لكل هذا وذاك فأنا

لا أحب الكذب والغش. أنا لست مثل من تقرأ لهم.

صعقته جملتها الأخيرة وهي تومئ برأسها نحو الصحيفة. تحول حرجه إلى

خوف دب في أوصاله. استدار ينظر من خلال زجاج الشباك إلى ما تكدس على الرصيف من بشر وعربات وسلع معروضة للبيع. صُمّت أذناه ولم يسمع ما قالته بعد ذلك. تنبّهت إلى أنه أصبح في وادٍ آخر أو لربما في عالمٍ آخر. استرجعته بوكرة من كوعها.

= زبائننا نوعان، مؤقت ودائم بدوام الظروف. لي من الصنف الثاني البعض الذي أقضي معهم بعض الوقت بين الحين والآخر. تبدأ الجلسة عادة قبل ملء الكؤوس بنكات لا تخدش الحياء، ثم تستحيل إلى نكات بذئنة عند الكأس الثانية، ثم يلي ذلك فقرة الغناء والرقص، وبعدها تبدأ جولة النقاشات السياسية. الخمرة تفك عقد الألسن وتعقل بقية الأعضاء. وغالباً ما تنتهي السهرة المحتدة النقاش بالطهر وبقبضي كامل أجري. هؤلاء الأشخاص، أهم ما يجمعهم هو نقد الأوضاع السائدة. أحياناً يقررون في أول جلستهم أن يتعدوا عن الخوض في السياسة. ولكن هيهات، فما يحدث في الواقع يجبرهم مجبرين. سكتت عندما أتخذ السائق مكانه خلف المقود، منبهاً الواقفين لسبب أو لآخر من الركاب اتخاذ أماكنهم جلوساً. نظرت إلى ساعة معصمها تريد أن تعرف كم ستستغرق الرحلة. لا يدري لم سألها:

= أهذه هي المرة الأولى التي تقومين بهذه الرحلة؟

= نعم، فقد اتصل بي واحد من المجموعة التي حدثتك عنها والذي اقتضت ظروف عمله مؤقتاً أن يكون هناك. دعاني مع البقية لقضاء عدة أيام بضيافته.

= أراك تسافرين وحدك.

= لم يرغب أحد منهم أن أكون رفيقة دربه والسبب لا أظنك تجهله. هؤلاء أيضاً مثل من تقرأ لهم، يقتفون من الفحش ما يقتفون معي ومع غيري ولكنهم يظهرون أمام الآخرين بمنتهى الطهر والبراءة.

ارتعب ثانية من حشرها الصحيفة وما وراءها كجملة اعتراضية قد تودي به. إلى ما ستنتهي هذه الرحلة المشؤومة؟ ود لو كانت له خبرة التعامل مع هذا

الصف كي بيتعد عما لا يُخاض فيه. تشاغل بقراءة الصحيفة. هذه المرة نشر أمامه صفحة الأخبار الداخلية. سكتت عنه لبضع دقائق، ظن أنه تخلص منها. لام نفسه عندما جاملها بعدم مضايقته من مجاورته. مدت سبابتها اليسرى تشير إلى خبر في أعلى جهة اليسار من الصفحة. قرأ «وزير التجارة: سنقوم باستيراد خمسين ألف طن من ...» قبل أن يكمل قراءة العنوان هتفت بصوت مسموع: «ابن ال ...».

أسكتها قبل تكمل. مالت برأسها نحوه وهمست:

= عندهم أضعاف هذا الرقم من الخزين.

= وما أدراك؟

= أحد أعضاء المجموعة، بالمناسبة سأسميهم شلة الأنس على الطريقة المصرية، لأن كلمة مجموعة قد تأخذ بعداً سياسياً. هذا الأنيس موظف في وزارة التجارة وعندما سأله أحد الأنساء عن سبب شحتها كانت إجابته عدم معرفة السبب بالرغم من وجود كمية كبيرة من هذه المادة في مخازن الوزارة، وحتى أن المشرفين على هذه المخازن رفعوا تقريراً لسيادة الوزير الكذاب ينهونه إلى أن مدة نفاذ صلاحية قسم من الكمية قد دنا.

= أراك تجيدين القراءة.

= لقد واصلت الدراسة حتى منتصف المرحلة الإعدادية. كان بالإمكان لو أن الظروف كانت مواتية أن أكمل الجامعة ولأصبحت إحدى موظفات حكومتك.

أشارت هذه المرة بيدها نحو الجريدة. لم يعد بإمكانه السكوت. استدار نحوها مقرباً فمه ما أستطاع من أذنها. ملأ أنفه عطرها. استرخت عضلاته بعض الشيء. مرت لحظات دون أن ينبس ببنت شفة. نظرت إلى وجهه من زاوية عينها. ارتسمت على محياها ابتسامة. قالت:

= أتدري، عينك جميلتان.

= أرجوك عندي من المشاكل ما يكفيني.

قاطعته:

= الطريق أمامك سالكة، لك أن تقدم ولك أن تحجم.
= ما أقصده هو شتائمك، استهزاؤك، طعنك للسلطة. لا أريد الخوض في أمور
السياسة.

= هؤلاء الأوغاد سيّسوا كل الحياة، حتى لعب الأطفال وأغانيتهم وضعوها في
إطار مصنوع من السياسة.

= سأضطر للنزول.

قالها وهو ينظر إليها بحيرة. بدأ الغضب يتصاعد في داخله. قالت:

= خوفك جعلك لا تستطيع خلاصاً مني. هكذا فعلوا معنا جميعاً. جعلونا نزرع
الخوف ونميه في داخلنا فما عدنا نستطيع الخلاص مما فرضوه علينا.
تساءل عن ماهية هذا الكائن القابع إلى جانبه المتخذ شكل امرأة. مهنتها
الدعارة، أو هكذا ينم تصرفها. اقتحمته خلال أقل من ساعة. تجيد الحديث
السياسي. تمارس السياسة، و ... سألها:

= من أين اكتسبت هذه المعرفة؟

= من كثرة ما خالطت شلة الأناج واستمعت لنقاشاتهم. هم أناس بسطاء،
عاديون في ممارستهم الحياة ولكنهم على دراية بحياتهم. يجيدون المقارنة بين
ما هو عليه وما هو مفروض أن يكون. خبروا فترات سياسية متعاقبة أنضجت
وعيهم. الوعي لا يحتاج بالضرورة إلى التعليم الأكاديمي العالي كما تروجون
له أنتم المثقفون. الوعي لا يحتاج إلى غير بصيرة نافذة. الوعي لا يحتاج إلى
مصطلحات لا يفهمها إلا القلة من الناس وليس بحاجة إلى لغو الحديث...
= رويدك، رويدك...

* * *

نهاية السفر كانت آخر عهده بها، إذ لم يرها بعد ذلك. لم يسمع عنها. لم
يلتق بأحد يعرفها. ابتلعها الحياة مثلما تقيأتها الظروف في ذلك اليوم الذي
استمر شؤمه إلى ساعته هذه التي وجد فيها نفسه معلقاً من قدميه في سقف

هذه الغرفة التي لا يعرف أية بناية تحويها ولا في أية بقعة تقع.
افترقا عند آخر الرحلة دون أن تسأله عن اسمه. ودعته بقولها:
= وداعاً يا صاحب أجمل عيون.

أدى المهمة التي كُلف بها. عندما عاد كانت جعبة عقله معبأة بأسئلة ظل
يطرحها رغم كل التحذيرات التي وجهت له «كيف يمكن أن نثق بمن أرتكب
بحقنا أكبر مجزرة في تاريخ بلدنا قبل أقل من عشر سنين؟ وكيف نبرر تحالفنا
معه؟ أكان كل نضالنا عبر السنوات من أجل مقعدين وزاريين أو ثلاثة؟ أم
تستوعب قيادتنا دروس الماضي؟ أم تعي المرحلة؟ هم يدعون الوطنية والحرص
على الوطن لذلك يمدون يد مصافحة ويخفون الأخرى وراء ظهورهم، ألا يحق
لنا مطالبتهم بأن يظهروا لنا اليد الأخرى بدل إخفاءها؟»

جُمِدَتْ عضويته لأنه ما أنفك يتساءل. في سنوات ابتلعتته الحياة كما صباح.
ضُربت مجموعة انتمائه ضربة قاصمة لم تقم لهم بعدها قائمة. تشتتوا في
المنافي يستذكرون الماضي ويمتئون الأنفاس بأن يعودوا يوماً مثلما كانوا. تابعهم
عن بُعد من بُعد ما أشد الخناق على بقاياهم وعلى من والاهم. سلم هو من
الملاحقة ولم يعرف سبباً. تسلل القادة واحداً واحداً.

ترامى إلى سمعه أن السلطة غضت الطرف عن هروبهم، وربما يسّرت لهم
الأمر من حيث لا يعلمون حتى لا تظهر أمام العالم وكأنها باغية، متسلطة،
قمعية. فُصل الرأس عن الجسد. ضموا أجزاءً من الجسد إلى تنظيماتهم
بالأسلوب التقليدي، الترهيب والترغيب. من بقي من الجسد رافضاً فقد غيَّب
في ظلمات ما تحت الأرض خارج المكان والزمان بلا حياة تدب فيه أو نصف
ميت. بقي هو يدب على وجه الأرض خارج كل شيء نصف حي. كان يشهد
الفرحة في عيون السلطة وهي تحتفل بعرس انتصارها على أكبر منافس لها.
ثقبت طبله أذنه «نحن أبناء عصرنا هذا.»

حاور نفسه وبصوت مسموع في تلك الغرفة الرطبة التي استأجرها في فندق

رخيص، قديم، متداع، في واحدة من أقدم أحياء العاصمة والتي ارتبط اسمها بالمبغى العام الذي كان يوماً عامراً ببضاعته وبزبائنه.

«ألم نكن نحن جزءاً مما دفع بهؤلاء ليكونوا أبناء عاقين لهذا الزمن؟ أليس يحاكمنا يوماً ما أناس بسطاء، عاديون في ممارستهم الحياة ولكنهم على دراية بحياتهم، يجيدون المقارنة بين ما هو عليه وبين ما هو مفروض أن يكون، كما وصفتهم صباح؟»

تذكر صباح، ومتى نسيها؟ هي منذ ذلك اليوم دائمة الحضور في ذهنه. ما زال يملأ أنفه عطرها ويرخي عضلاته المتشنجة كلما تذكرها.

«كيف أتى لها أن تكون على هذا القدر من الدراية بالحياة السياسية؟ ومن أين لها هذا الأسلوب في النقاش؟»

لقد جعلته ينكمش في ذاته ويعيد النظر بما يرتقي إلى مستوى المسلمات. أخذ نفسه بالشدة. جعل يبحث عما أوحى له بأن صباح وغيرها لا يفقهون من الحياة سوى ما يجعلهم يدبون على وجه الأرض، يأكلون، يشربون، ينامون، يتناسلون، يفرحون، يحزنون، يغضبون.

«أثقافتنا فرضت علينا هذا التقسيم اللامنتصف إلى متعلمين أو مثقفين، كما يحلو للناس أن يطلقوها من لفظة، وإلى جهلة، كما يحلو لأمثاله أن يطلق على من لم ينل من التعليم ما يكفي؟ ألا يكفي ما قسّم المواطنين به إلى درجات ثمان، تسع، عشر، لا يدري؟ لماذا هذا التعالي على الآخرين؟ أليسوا بشراً؟ أليسوا يحملون نفس هوية الانتماء إلى بلد معترف به من الجميع إلا ممن يحكمونه؟ هم الوحيدون الذين محوه من الوجدان كوطن وجعلوه ضيعة من ضياعهم التي لا يملكون غيرها. هؤلاء الناس بشر، مواطنون يعيشون تحت ظل هذه المنظمة التي أفقدتهم مقومات الحياة ولكنها لم تستطع أن تفقدهم صوابهم، على الأقل لحد الآن. هم يمارسون السياسة بدون انتماء إلى أحزاب وتنظيمات. أجبروا على الخوض في السياسة في ظل أزمات اختلقها النظام كي يجعل من الناس بهائم منشغلون بالبحث عن الطعام فقط.»

في الصباح، كان يجلس في المقهى القريب من الفندق الذي هو أحد أقدم نزلاءه. يشرب قدحه الأول من الشاي كي يفتتح ممارسة التدخين. لم يكن يستسيخ التدخين قبل قدح الشاي وأحياناً معه. يدفع ثمن شايه ويظل يرقب الرصيف المقابل انتظاراً للحافلة التي توصله إلى محل عمله. أحياناً كانت أفكاره المتضاربة أو استعادته لحلم رآه ليلته يعميه عن رؤية الحافلة التي تظل واقفة في انتظار استكمال عدد راكبيها، فيرتفع صوت جاسم صاحب المقهى الجهوري الذي يشوبه شيء من بحة تذكره بقراء المقامات التي ظل وفيماً لسماعها بعد أن غزا الإذاعة والتلفاز اللاهجون.

= حافلتك يا أستاذ. لا بارك الله بشاغل ذهنك وذهننا. لعنة الله على القوم الظالمين.

«أليس هذا ناقد آخر للأوضاع السياسية؟ إن كانت صباح قد كادت أن تنهي المرحلة الإعدادية، فجاسم هذا لا يفرق بين حرف الصاد والباء. أليست لعناته التي يصبها منذ ساعة افتتاحه مقهاه وحتى ساعة إغلاقها منشورات سياسية تنبه الغافلين والمتغافلين عما يكتنف البلد وأهله؟ أليست هي بيانات سياسية تحذيرية لما ستضعه من مسخ الأيام الحبلى من سفاح؟ أن البعض من رواد المقهى من رجال الأمن الذين ينتشرون في هذه البؤر المكتظة بالناس الذين لا رابط بينهم إلا العوز والبحث عما يؤمن لهم وجبة طعام وعلبة سجائر ونزر يسير من خمر أو حبة مما يتعاطاها من أصيب بمرض نفسي تعينهم على نوم خاصمهم وتنسيهم ما أسهدهم؟ جاسم يعرف هؤلاء الرجال تماماً مثلما يعرفهم الكثير من رواد مقهاه دائمى الحضور ولكنه لا يعبأ بهم.»

= دعائي ينصب على شاغل البال، وكل منا عنده ما يشغله، وألعن القوم الظالمين مستشهداً بآيات قرآنية، فليمنعوا ذلك كما منعوا تداول حبوب منع الحمل لزيادة النسل، ولا أدري كم حربياً سنخوض بعد هذه التي استهلكتنا والتي تقتضي وفرة الأنجاب؟

قالها جاسم بعد أن حذره غِبَّ سنوات من تعارفهما ووصوله إلى درجة زبون مفضل لانتظام تردده على المقهى. مع كل رجال الأمن الذين يعرفهم جاسم حق المعرفة، وكذلك هوبي العامل في المقهى إلا أنه لم يُودع يوماً في سجن أو معتقل ولا حتى في مركز شرطة. الكثير من الزبائن تعلم منه لعنة القوم الظالمين كلما تعكر مزاجه وما أكثر معكرات المزاج التي وصفها جاسم ذات يوم بقوله:

= إنها يا أستاذ، من القلة القليلة الباقية مما توزعه الحكومة مجاناً، بل أجزم بأنها حتى على استعداد لأن تدفع مقابله. رحم الله السابقين، كانوا لا يريدون لمزاج الناس أن يتعكر.

سكت طويلاً. أمتص كمية كبيرة من دخان سيجارته حتى خُيِّل إليه أنه سينهيها دفعة واحدة، قبل أن يكمل حديثه:

= سامحكم الله يا أستاذ فقد ساهمتم في تمهيد الطريق لتمكين هؤلاء من التحكم بأخطائكم.

وجل. نهض. غادر المقهى بعد اعتذار. التقفه الرصيف. كيف تسنى لجاسم أن يعرفه؟ لا يتذكر أنه التقاه قبل ريادته المقهى. لا يتذكر أنه حاوره ذات مرة بأي شأن من الشؤون عامتها أو خاصتها. حتى أنه لم يجاوره جلوساً. كل تعليقات الحاج جاسم المقتضبة والتي يحفظها كان يتلقاها وهو يدفع ثمن ما شربه. في بعض المرات كان يتعمد التأخر في رد العملات المعدنية بعد استقطاع ثمن الشاي من ورقة نقدية دفعها إليه كسباً للوقت اللازم لقول ما يريد. انتبه إلى هذه فصار يدفع الثمن قطعاً نقدية يكون قد هياها قبل ولوجه المقهى. هذه الحيلة لم تتطل على صاحب المقهى فقال له مازحاً ذات مرة وهو يضحك ملء شذقيه:

= سأسمعك قولي حتى وإن لم تدفع ثمن ما تشربه هنيئاً مريئاً.

أبه ما يشي عن كنهه؟ حذره هوس أصابه. لا يقرأ في المقهى ساعة يكون فيها مساء غير الصحف الرسمية، أما المجلات المستوردة من قبل وزارة الإعلام فيقرأها على سريره قبل نومه. صباح، تخلص من محاصرتها في نهاية سفرته تلك. جاسم هذا، كيف السبيل للتخلص من حصاره الذي يشدد؟ هو لا يستطيع أن يمتنع عن

المقهى لعدة أسباب. أولها، أن رجال الأمن المتسائلين عن الجميع قد أطمئنوا إليه بسبب تردده على المقهى وهذه كانت نصيحة ثمينة قدمها له صاحب الفندق، عندما قال له «كي يضعوك على قائمة غير الخطرين على النظام.» ثانيها، أن المقهى توفر له فرصة إحساسه أنه غير معزول حتى وإن لم يحدث أحد من روادها. وجوده وسطهم يشعره أنه ينتمي لفصيلتهم. ثالثها، أنها أرخص الأماكن التي يمكنه فيها قضاء الوقت، أو بالأحرى الفأض عن حاجته.

بعد مسيرة طالت، أحس بشيء من الهدوء يعود إليه. بدأ يلوم نفسه على الهلع الذي يصيبه من حين لآخر. تذكر أنه لم يصبه قبل سنوات ما أصابه الآن عندما سمع الحاج جاسم يتحدث لأحد أصدقاءه وكأنه يريد أن يسمعه هو: = بعض الأخطاء خطأيا. خطيئته هي ما شاهدناه من على شاشة التلفزة. رجل ساقته الأقدار ليكون على رأس قوة وطنية مشهود بتأريخها النضالي، البعض من أفراد قاعدته تعج بهم المعتقلات والبعض الآخر مطارده، يحضر ندوة يحضرها الزنيم. وعندما يأتي دوره في الحديث يستشهد بقول أحد زعماء فكره دون أن يذكر اسمه. الزنيم ومن موقع القوة والاقتدار وزيادة في تأكيد ضعف المتحدث يذكر أسم المُستشهد به، فيجيب الرجل بلا حياة أو خجل «بعض الأسماء تثير الحساسية.» ليلتها كدت أنفجر غضباً على ما إلنا إليه. إن كان هذا الرجل يخشى ذكر اسم أحد منطري فكره فكيف سيروج للفكر نفسه؟ ماذا سيكون غير تابع في جبهة ضمته وغيره تحت مظلة باسطي نفوذهم؟ ترى ما سيكون موقفه بعد أن أصبحت شعارات هذه الندوة سيفاً مسلطاً على الرقاب وقانوناً يُبعد ويُسجن بموجبه من يناوئهم ومن لا يؤيدهم؟

يومها لم يخف حد الهلع، ربما لأن جاسم لم يتحدث بلغة المخاطب لا مفرداً ولا جمعاً. ارتسمت على شفته ابتسامة إذ تذكر أن صديق جاسم علق مستغرباً: = زنيم؟

فكان رد جاسم قاطعاً مستنكراً استغرابه:

= أليس زنيماً؟

نبهته روائح التوابل المنبعثة من الدكاكين المنتشرة على جانبي هذا السوق. تيقن أن مسيره قد استغرق أكثر من نصف ساعة في سيره المتهادي. قرر أن يعود أدراجه من الشارع الآخر الذي يقع عند الطرف الآخر لهذا السوق الطويل. ما نبهه هذه المرة لم يكن غير صوت صاحب المقهى الذي مرق من أمامها: = أستاذ صبري.

أدار وجهه ناحية المقهى، فما كان من صاحبها إلا أن يعيد:

= أستاذ صبري، تفضّل.

وهو يشير بيده إلى المكان الذي اختاره له. ما أن جلس حتى حيّاه وطلب من هوبي أن يقدم شاياً للأستاذ. قال له جاسم:

= لم أقصد إحراجك في أي من المرات التي تحدثت فيها معك. ولست من الأوغاد الذين يتسببون في أذى الآخرين. أعرف أن هناك العشرات من الأسئلة التي تدور في ذهنك. سأروي لك جانباً من حياتي باختصار لعلك تجد فيها إجابة لبعض الأسئلة. بدأت عملي في مقهى كان يملكها أحد أخواي وأنا في سن الثامنة. بسبب ظروف والدي التي فقدت معيها في حركة مايس. رفضت الاعتماد على أخواي الذين تكفلوا بإعالتها. أصرت أن أكون معيها على صغر سني. بدأت ساقياً للماء بأجر كانت تقبضه رحمها الله بالنيابة. ثم جامعاً للأقداح التي ارتشف الزبائن محتواها. ثم معداً للشاي وساقياً له. عملت في عدة مقاه. المقاهي كانت مدارس للوطنية ومنتديات للثقافة والفكر. فيها تعلمت أبجديات السياسة من خلال ما يتناقله الزبائن من أخبار وما يدور بينهم من نقاش وجدل. تعرفت على هتلر والنازية، ستالين والشيوعية، تشرشل والرأسمالية، ديغول والمقاومة. عرفت غاندي والعصيان المدني. كنت إذا غم عليّ سألت، وإذا أجبته حفظت، وإذا حفظت تعلمت. أيقنت أن فرصة دخولي المدرسة قد ولت. وتعلمي القراءة والكتابة قد فات أوانه. إذن لا بد وأن أتبع طريقة السمع للتعلم. كان الكثير من

رواد المقاهي لا يجيدون القراءة والكتابة ولكنهم اختلطوا بالمتعلمين والمتقنين والأدباء والشعراء والصحفيين والسياسيين فتعلموا منهم. ما زلت أذكر سيد مهدي، تاجر الحبوب الذي كان يرتاد إحدى المقاهي التي عملت فيها. كان الرجل لا يقرأ ولا يحسن كتابة حتى اسمه. كان يشتري ثلاث صحف يومياً قبل أن يصل محله. ظن من ساء الظن به أنه يفعل ذلك من باب استكمال وجاهته ولكن تبين فيما بعد أنه استأجر أحد الموظفين يأتيه بعد انتهاء دوامه ليقراً له الصحف. كان للرجل باع طويل في النقاشات السياسية التي تحتد مساء عند اكتمال نصاب روادها. سيد مهدي، تعرض للتوقيف عدة مرات أبان الأزمات التي كانت تعصف بالبلد. في كل مرة لم تكن الشرطة تصدق أن الرجل لا يجيد القراءة والكتابة إلا بعد أن يشهد عليه مختار محلته. ترى كم من أمثال سيد مهدي كان الغير يقرأ لهم ليعوا ما يدور حولهم. كثرة احتكاكي بكل هؤلاء علمتني حتى حفظ الشعر. علمتني مفردات اللغة العربية. منذ ما يزيد عن ربع قرن أصبحت مالكة لمقهى. صرت أملك وقتاً أكثر. مكانك الذي تشغله الآن يشغله يوماً عدة أشخاص أتعلم منهم ما لا أعرفه. يقرأون لي ما يجد في الصحف والمجلات والكتب. بعضهم يقرأ علي ما يكتبونه هم، ما ينشر منه، وما لا يتم نشره. أحث الخطى نحو السبعين من العمر. ثقل تجارب السبعين هذه تجعلني أفهم الناس. أقرأ دواخلهم. أسمع قولهم فأعياه. أرى صمتهم فأفهمه. أشم خوفهم. أحس فرحهم. قد يظن البعض أن هذه مبالغة لأنهم لا يستطيعون تفسيراً لها، ولكن ألا يمكن أن تكون فراسة موهوبة صقلتها التجارب؟

صَمَتَ. كان كمن رمى أثقالاً حملها فوقف يلتقط أنفاسه قبل أن يستأنف سيره. هو أيضاً صامت، متلهف لمعرفة ما يريد أن يصل إليه هذا الرجل.
= لا يحتاج الأمر لعقل عبقرى لاكتشاف الحقائق. أبناء جيلك ورثوا شغف العمل السياسي منا. ظنوا أنهم الورثة الشرعيون لنضالنا الذي امتد على مدى ما يقرب من أربعين عاماً. لم يعرفوا كيف يكون قطف الثمار. لم يكتفوا بما أتلفوه من حصاد الموسم، ولكنهم تسببوا في دمار البستان، كما ترى. أن تكون متعلماً،

مهماً بالأخبار السياسية التي تطالعتها في الصحف التي لا تكاد تفارقك فهذا معناه أنك ممن خاضوا في السياسة، هذا ما لا يمكن للشك أن يجد ثغرة فيه. إذن والحال هذه فأنت إما أن تكون مع أو ضد. فلو كنت (مع) لما عثرت على مقهاي هذه ولما أصبحت من مدمني ارتيادها. فإذن أنت (ضد).

رغم قلقه مما توصل إليه الحاج جاسم فقد وجد الانشراح طريقاً إلى نفسه. أعجب بالأسلوب الذي أتبعه هذا الشيخ في الاستنتاج. ودّ لو حاوره، ولكن أنّى له ذلك وهو رهين خوفه. هذا الرجل مدرسة متكاملة. التفت إلى صاحب المقهى قائلاً:

= كما تعرف، فإن عليّ النهوض مبكراً. هلاً سمحت لي بالانصراف لأخذ حاجتي من النوم. نكمل، إن تهيأت الظروف، نقاشنا.

= رافقتك السلامة. لا تشغل نفسك بإكمال النقاش فقد أخذ الموضوع حقه فيما قيل، وأظن أن شوكة من أشواك القلق أو الخوف قد انتزعت، أو فلنقل إن جاسم أصبح موضع ثقة. ألسنتُ موضع ثقة يا أستاذ صبري؟

= كل الثقة. وداعاً.

لم يكن معتاداً على استخدام مفردات تدل على المطلق من الأحكام. فكيف أستخدم (كل) في وصف الثقة؟ قرر ألا يجِد في بحثه عن السبب وإلا أرق لييلته، فليدع الأمر على ما هو عليه.

تسنيم حسن

أفراح قصيرة

أنا رهف من شمال غزة، اليوم علينا المغادرة نحو الجنوب؛ بالأمس تم تدمير منزلنا إثر سقوط صاروخ عليه.

بتنا ليلتنا بين الأبنية المدمرة والدخان وصوت البكاء والقذائف المنهمرة من كل مكان. في الصباح بدأت رحلتنا نحو الجنوب احتضني أبي وقبلني وأوصى أمي بي وبجدي وجدتي.

كان الجميع يبكي بحرقة وألم وكنت خائفة فتعلقت برقبة أبي ولم أرد النزول من بين ذراعيه، أخبرني أنه عليّ الذهاب مع أمي؛ قلت: احملني لا أريد المشي، أجابني أنه لا يمكنه الذهاب معنا، «على الرجال أن تموت مرفوعة الرأس». لم أفهم ماذا قال وبدأت في البكاء، بعد بضع خطوات من منزلنا، حملتني أمي لكن كان عليها مساعدة جدي وجدتي؛ فالطريق طويلة وما عادت معبدة يسهل السير عليها، أنزلتني وأمسكت بيد جدي المنهك من المسير بفعل عمره الكبير، جدي كانت تمسك به أيضا وهي تبكي تحاول الالتفات للخلف ولسانها لم يتوقف عن الدعاء لأبي.

كنت أبكي وأصرخ من الجوع؛ لا أذكر متى تناولت الطعام آخر مرة. سقطت من الولد الذي يسير أمامي قطعة خبز صغيرة حاول الرجوع لالتقاطها لكن أمه سحبته للأمام فلا أحد يستطيع الرجوع للخلف؛ فهناك جنود يطلقون الرصاص على الجميع، أسرعرت والتقطتها وحشوتها في فمي وشعرت بفرح كبير، فرحة جائع خائف متعب.

جدي بدأ يشعر بألم في صدره وكان علينا الجلوس رغم كل شيء. جلسنا على أنقاض بيت مدمر حتى يستطيع التقاط أنفاسه، بين الأنقاض كان هناك غطاء طفل أزرق رسم عليه «دبدوب» بني في منطاد بين الغيوم البيضاء، سحبته ووضعتة على كتفي جدي الذي كان يرتجف من البرد والتعب وقلة الطعام، ابتسم جدي لي وشعرت بفرح كبير؛ فقد استطعت مساعدته كما كنت أفعل عندما يطلب مني إحضار نظارته عندما يريد القراءة.

بدأنا نسمع صوت الرصاص يقترب منا فطلب جدي منا متابعة المسير بسرعة وهو سيتبعنا عندما يستجمع قواه، جدي رفضت تركه وحيدا وأصرت على البقاء معه، فأكملت الطريق مع أمي وطابور طويل من الناس متجهين نحو المجهول.

أمي لم تتوقف عن البكاء شعرت بدموعها تسقط بغزارة على وجهي واختلطت بماء المطر. فرحت بالمطر ففتحت فمي أحاول جمع قطرات الماء لعلها تروي عطشي لكن سرعان ما أصبحت الأرض موحله يصعب السير عليها. كنت أرتجف من البرد بعد أن تبللت تماما وأمي أيضا كان ترتجف وهي تحملني ثم سقطت على الأرض كانت متعبة جدا لم تستطع النهوض، تمسكت بها وبدأت بالبكاء. لا أعرف كيف، لكن امرأة ما أمسكت بها وأجبرتها على النهوض، وأكملنا السير: مرة تسقط فأبكي من الخوف، ومرة تقف فأبكي من الفرح.

حاولت فتاة تسير بالقرب مني تهدئني وأعطتني دميتهما الشقراء، كانت بلا ذراعين ولا ساقين؛ ربما سقطوا منها أثناء السير ولم تستطع التقاطهم. بعد ساعات طويلة من السير وصلنا حيث يجتمع الجميع: متعبين، جائعين، خائفين، تلاحقنا القذائف، وفي الصباح التقيت الجميع في الجنة.

فنار عبد الغني

البحث عن شقة 2: شقق المهندس لطفي



لطفي مهندس معماري ينتمي لعائلة عريقة. إنجازاته الهندسية صروح في عالم الفن المعماري. كان يتعمد بناء مباني فريدة في تصميمها وفي جمالها المبهر. في الواقع، إنجازاته تعكس روحه المتوقدة وذوقه اللامع وانتمائه الطبقي بكل أبعاده النفسية والتربوية والثقافية والاجتماعية.

استقبلنا المهندس لطفي وهو رجل تجاوز

العقد السابع من العمر بكل مودة. وكان قد حضر على الموعد عند مدخل إحدى مبانيه الذائعة الصيت في ذوقها وأصالتها الفنية. كان مدخل المبنى من الرخام الصقيل الذي يجعل الأضواء تنعكس في كل نواحيه. المبنى رغم تجاوزه العقد الرابع، ألا أنه لا يزال محطاً للأنظار. هنا لا يسكن إلا الأطباء المشهورون في المدينة ورجال الأعمال الأثرياء.

قال لي زوجي قبل وصولنا: «إن لطفي لا يبيع شققه إلا لمن يرضى عن طبخته الاجتماعية والثقافية ولمن يحظى بإعجابه، وقد أرسل لي عندما بلغه خبر أننا نبحث عن شقة من يبلغني أن لديه شقتين للبيع في هذا الحي».

كانت الشقة لأخت لطفي، وكانت تقع في الطابق الخامس بعيداً عن ضوضاء الشارع. دخلنا إلى رواق الشقة التي تشي جوانبها بقايا تصاميم مترف من النوع القديم، ثم دخلنا إلى قاعة الاستقبال فغرفة السفارة. كانت

الأسقف والجدران مزخرفة من كل جانب زخرفة تناهز العقد الرابع أو الخامس. أما مساحتها فكانت واسعة جداً، غرفة تقول عنها جدتي رحمها الله «غرفة يسرح فيها الخيال».

انتقلنا إلى المطبخ المتهالك الأبواب والنوافذ. أما بلاط الأرض والجدران فلن تجد مثله إلا في مسلسلات السبعينات من القرن الماضي. دلفنا إلى غرف النوم الواسعة أيضاً ذات الشرفات المطلّة على الجهة الغربية للمدينة التي امتلأت عن بكرة أبيها بمباني عشوائية، تجمع فيها سكان من كل حدب وصوب، لا تجمع بينهم أية صلات.

بدا المكان وكأنه غابة إسمنتية موحشة، ما إن تنظر إليها حتى يرتد إليك بصرك خائباً كثيباً محملاً بمشاعر غريبة ثقيلة على الروح جعلت قلبي ينقبض.

انتقلنا إلى مبنى آخر للطفي كان بجوار الذي كنا فيه، وأكاد أجزم أن لطفي قد بنى هذا المبنى قبل ظهور الغابة الإسمنتية التي جعلته يترك المدينة هو وأخته وابن أخته صاحب الشقة التي نحن بطريقنا إليها والسكن على سفح جبل يطل على المدينة والبحر.

كانت الشقة على الطابق الأول، وقد سعدنا مع لطفي على الدرج. وبين الطابق الأرضي والطابق الأول كان هناك طابق سري يسمى الميزان، كان سكانه قد نشروا على الدرج صعوداً ونزولاً كل ما يمتلكون من ملابس مغسولة، الأمر الذي أزعج زوجي صاحب الذوق الرفيع والترتيب والعاشق للأناقة في كل الأشياء. نظرت إلى وجه زوجي وقرأت ملامح الاستياء الواضحة عليه.

كانت الشقة كبيرة وجيدة الغرف وواسعة الشرفات لكنها معتمة. ومما زاد في عتمتها أيضاً الباركييه المنتفخ من جراء احتباس مياه الأمطار الراكدة على الشرفة الطويلة بسبب انسداد أنبوب المجاري. وهذا للأسف أمر يحدث في الطوابق الأولى في المباني. الطوابق الأولى في مجتمعاتنا غير مرغوب فيها

لهذا السبب، وأسباب أخرى منها رمي سكان الطوابق العلوية لأشياءهم عليها. كما أن المكان محاصر من كل صوب بالعديد من المباني بحيث يشعر الساكن بأنه مقيد ولا يمكنه الخروج للشرفة، فإذا خرج سوف تلاحقه العيون الغربية.

كان المهندس لطفي لطيفا جداً وودوداً، عاملني أنا وزوجي بكثير من الاحترام واللباقة. وقد سُر زوجي منه كثيراً وكان ميالاً لشراء الشقة الأولى التي تقع على الطابق الخامس، بعد أن خفض له لطفي من ثمنها وقرر بيعها لنا بالتقسيط المريح، لكنني لم أسعد بذلك، فالشقة بحاجة إلى ورشات عمل عديدة حتى تواكب عصرنا، ومساحتها واسعة جداً، فما عساي أفعل ببيت مساحته 280مترًا. لست بحاجة لكل ذلك.

بذلت جهداً لإقناع زوجي بالعدول عن رأيه وصرف النظر نهائياً عن هذه الصفقة. وعندما بدأت كتابة قصتي عن تلك الشقة، راودني شعور بوحدة كثيفة وسط تلك المساحة الشاسعة الفارغة المطلة من الخلف على غابة إسمنتية سوداء، مكتظة بالأصوات والأنفاس، وبعيدة عن الشمس.

ندوة إنترنتية: على خطى حنظلة

استكشاف حياة وأعمال ناجي العلي

نظّم متحف بيت الزبير التراثي في مسقط، بالتعاون مع مؤسسة فكرة، ندوة عن بُعد بعنوان «على خطى حنظلة: استكشاف حياة وأعمال ناجي العلي»، وكان ذلك يوم 9 كانون الثاني (يناير) 2025. استضافت الندوة الفنان الفلسطيني المقيم في باريس، ناصر سومي، وهو صديق ناجي العلي. وقد تحدث عن فن صديقه، وبعض الذكريات معه. أدارت الندوة الدكتورة هبة عزيز. كانت الندوة باللغة الإنجليزية لتمكين محبي فن الكاريكاتير حول العالم من متابعتها.

In the footsteps of Handhalah; Exploring the life and works of Najji Al Ali

مجلة عود الند الثقافية

with guest speaker **Nasser Soumi**, the renowned Paris based artist/author.

9th Jan, 5pm Muscat time

Webinar

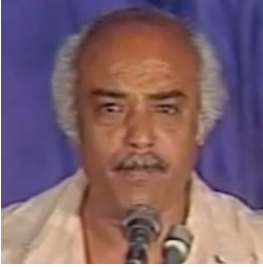
بيت الزبير BAIT AL ZUBAIR

فكرة

الندوة كانت ضمن فعاليات معرض أقيم في غاليري سارة، التابع لمتحف بيت الزبير، للوحات الفنان ناجي العلي في الفترة من 23 /12/ 2024 إلى 6 /1/ 2025، تحت عنوان «حنظلة فلسطين: خط وخيط ناجي العلي في مسقط». تميز المعرض بعرض لوحات ناجي بالأبيض والأسود، إلى جانب نسخ مطرزة بخيوط ملونة أبدعتها الفنانة صفاء سرور.

مختارات: عبد الله حدّاد

أنا عربي أصيل يا خِلّتي



أدناه نص قصيدة باللهجة البدوية، وهي أيضا أغنية للفنان الفلسطيني، عبد الله حدّاد. من يستمع للأغنية دون المقدمة الخطابية التي ألفاها الفنان قبل الأغنية، ودون شطر في المقطع قبل الأخير، لن يكون لديه شك في أن القصيدة هجاء لاذع. وعندما تشاهد فيديو الأغنية في احتفال

فلسطيني أقيم في اليمن عام 1983، حضره رئيس اليمن الجنوبي، علي ناصر محمد، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، ياسر عرفات، ومجموعة من زملائه، سوف يلاحظ أن الجالسين في الصف الأول أدركوا أنهم يستمعون إلى هجاء ذكي جعل الضحك يسيطر عليهم. هكذا يكون عبد الله حدّاد هجا وأضحك في الوقت نفسه.

المقدمة الخطابية التي سبقت الأغنية وشرط في المقطع قبل النهائي، يقودان إلى استنتاج معاكس، وهو أن القصيدة كانت للمديح. لكن بصرف النظر عن نية الفنان، بالحكم على الكلمات فقط، القصيدة تتضمن نقدا للتخلي عن قيم وشيم عرف بها العرب، فقد تلاشت الفروق بين شخصية العربي والأجنبي. القصيدة/الأغنية انتقدت الخلل في سياق تبريره بالتكتيك. والنقد لا يزال مستحقا في الوقت الحاضر أيضا، لأن التكتيك استبدل بمبررات أخرى مثل حب

الحياة، أو هذا البلد أو ذاك أولاً، وغير ذلك من مبررات للتخاذل.

= = =

خِلْتِي

يا خِلْتِي، يا خِلْتِي

أنا عربي أصيل، يا خلتِي

وبأصالتي بتكمن علي

ما أقبل الضيم بأرضي

ما أقبل الضيم بعرضي

ما أقبل الضيم بمِلْتِي، يا خِلْتِي

* * *

كيف ينضحك علينا؟ كيف؟

وكيف يقبلها على نفسه عربي؟

وحنًا النَّشَامِي رجال السيف

رجال الحق من سلالة نبي

حيف على لِحانا حيف

يحلّقها المّوس الأجنبي، يا خلتِي

* * *

أنا كنت أرعى الغنم في البراري

واسمع أخباركم من راديو ترانزستور

أخباركم شوّشت أفكارِي

قلت أشوف بعيني واستخبر

وجيت، تُهت

صرت مش داري مين فيكم السيّد

ومين فيكم المّستر، يا خلتِي

* * *

أنا كيف أقول يا ناقتي نِخِي
وانتِ طولِ عمرِكِ جملِ المحاملِ
سمعتِ نغمةَ أزعجتِ مخي
سألتِ، قالوا تكتيكِ يا جاهلِ
إن رَحَّوا نشدَّ
وان شدَّوا نِرخي
هيكِ انشهرنا في المحافلِ
لازمِ تكونِ تكتكجي
ابنِ تكتكجي
وبالتكتيكِ
يا متكتك
تكتكتك
بتكتك كل المسائلِ

* * *

كل شي فهمتوا بيه
يا معوِّدِ إلا التكتيكِ
كل شي فهمتوا بيه
يا عربي إلا التكتيكِ
أنا راجعِ أرعى الغنمِ
واحكي القصة للغنمِ
بلكي إن فهموا الغنمِ وفهموني برجع ليك
يا معوِّدِ، يا معوِّدِ إلا
يا معوِّدِ، يا معوِّدِ إلا
تكتيكِ، تكتيكِ، تكتيكِ

* * *

راجع أرعى غنماتي
يمكن استوعب أكثر
ولأجل أسلم بعقلاتي
راح أبيع الترانزستور
يا عالم أريد أخلص
واشتري بحقه شنتان
راديو بالسلم يبرقص
وبالحرب بيقراً قرآن
بيقولوا هذا تكتيك
بيقولوا هذا تكتيك
يا معوّد إلا

تكتيك، تكتيك، تكتيك
* * *

كنت أفهمها العين بالعين
كنت أفهمها السن بالسن
والبادي أظلم يا زين
كيف صرنا ع البادي نحن
مش راجع إلا بثورة
ثورة عربية كبيرة
تعجن عجنتها الكبرى
وياسر عنده الخميرة
وخلونا نبطل تكتيك
خلونا نبطل تكتيك
خلونا نبطل
تكتك تكتك تكتك

* * *

كل شي فهمتوا بيه
يا عربي إلا التكتيك
أنا راجع أرعى الغنم
واحكي القصة للغنم
بلكي إن فهموا الغنم وفهموني برجع ليك
يا معوّد، يا معوّد إلا
يا معوّد إلا
تكتيك، تكتيك، تكتيك
= = =

مختارات: نردين أبو نبعة

وداد: سدرة الجبل



أدناه مقتطف من رواية لنردين أبو نبعة عنوانها
«قد شغفها حبًا. تفاصيل التوثيق تحت المقتطف.

وداد: سدرة الجبل

للبيدات صمت وارتباك وترقب وأسئلة وإجابات.
لكن بدايتي معه لم تكن كذلك. منذ الساعات الأولى
معه صار لحياتي طعم آخر، ولقهوتي نكهة البهجة،
ولصباحي رائحة المطر الذي يشتاق أن يقبل وجه الأرض. وفي عيني شوق كما
الكمان للألحان.

في يوم عرسي لم أكحل عيني، فهو كحلها المنتظر، وهو دمעה، ولا أدري
كيف يجتمع النقيضان. معه أمتطي صهوة العشق ممتشقة قلبه لأصل إلى
السدرة حيث لا شيء بعدها إلا الاحتراق. أفد عند السدرة أتأمل ما لا يخطر
على البال. معه قطفت أجمل ما في الرجال. رسوت على شاطئه وأحرقت سفني
ورميت نفسي في بحره الذي يصنع الأمواج. عندما رأيته قلت: «جاء الحب
وزهق الحزن، إن الحزن كان زهوقًا».

سمعتُ عنه الكثير. رسمتُ صورته بفرشاتي ولونته بألواني. لكنه كان الأبهي
مما تخيلت، والأجمل مما رسمت. هو أسطورة أعرف عنه كل شيء، ورجل لا

أعرف عنه أي شيء. أخذ يتكلم ويتكلم. أحببت طريقته في الكلام. كل حرف يخرج من شفتيه له جاذبية آسرة تجعلني أشهق شهقة المزيد. كلما تقدم إليّ خطوة اكتشف رجلاً شفافاً يتقن إدارة حبه كما يتقن إدارة معاركه، وفي كلّ قائد. اكتشفت قلباً يعمر بالإيمان لا يغني على مسرحه سوى الوطن. كل لقاء سيجمعي بيوسف، على قصره، سيكون بحجم الكون الذي يطرب للصلوات.

عندما اتخذت قرارى بالقبول به زوجاً، استغربت من نفسي لوهلة وأطلت التفكير. هل ما فعلته كان صواباً؟ وكيف أقبل وأنا الفتاة العشرينية برجل أربعيني قعيد حصدت «إسرائيل» قدميه في محاولة الاغتيال الأخيرة؟ الآن، وأنا معه، تعاودني هذه الأفكار فأضحك في سري، فما حصدته «إسرائيل» هو سر اشتعاله، وكأن قدره إتقان شرارة الحب وإبقاء جذوتها مشتعلة: حبي وحب الوطن.

معه لم أشعر بفارق العمر. لم ألتفت لفقده ساقيه كنت كعصفورة لم تسعني السماء طيراناً. دوماً كنت أردد:

«أخطر كلمة على الإطلاق هي كلمة نعم، خاصة عندما نقولها ونحن نتلعثم. قلت نعم وكانت أجمل نعم أنطقها في حياتي».

يوسف يتقن الإجابة عن أسئلة تدور في ذهني. يبهرني بإجابته التي تشعل شغفي وتطيل مدة لقائي به. منذ اليوم الأول لزواجنا أعطاني درساً في اليقين. قال لي:

«يا وداد، قد أعيش معك أياماً معدودة، وقد يكتب الله لي البقاء في الحياة سنين طويلة، ولكن أقصى ما أتمناه أن يبقى إصبعي ضاغطاً على الزناد حتى ألقى ربي شهيداً».

مشاعر متناقضة وغريبة انتابتنني في هذه اللحظة. كنت أعرف طبيعة الحياة التي سأحياها مع يوسف، إلا أنني مسني الرعب حينما تخيلته أشياء ممزقة. شعرت بنفسي منكسرة ومبعثرة. كتمت صرختي التي تلون وجهي بها

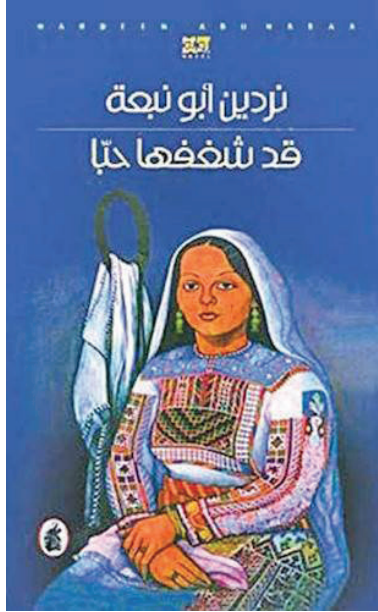
دون أن أشعره. لكنه شعر بي وأكمل:

«يا وداد عندي أمل بأن يسجد سحرة قومي. لذلك لا بد أن ألقى عصاي،
وعندي يقين بأن لي قدرة على شق بحر الوطن حتى يعبر شعبنا بسلام. هذا
طريقي الذي تعرفين، وأنت سكر أيامي، أرسلك الله لي تحلين فمي الطافح
بالمرار».

= = =

نردين أبو نبعة. قد شغفها حبًا. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر،

2015، ص ص 16-18.



ترجمات: كريس هـدـجـز

الإمبراطورية تدمر ذاتها

أدناه مقتطف من مقالة بالإنجليزية للصحفي الأمريكي، كريس هـدـجـز، وهي بعنوان «الإمبراطورية تدمر ذاتها». نُشرت المقالة في موقع «كونسورتيوم نيوز» بتاريخ 11 شباط (فبراير) 2025.

يتكالب على التهام آليات مؤسسات الدولة المليارديرات، والفاشيون المسيحيون، والنصابون، والمرضى النفسيون، والحمقى، والنجسيون، والمنحرفون الذين سيطروا على الكونغرس والبيت الأبيض والمحاكم. أصيبت كل الإمبراطوريات في المرحلة الأخيرة قبل انهيارها بهذه الظاهرة التي تؤدي إلى شل أذرع الدولة وتدميرها، ثم تنهار الإمبراطورية كبيت من ورق.

نتيجة العجز عن إدراك الإمبراطورية أن قوتها تتضاءل، ووجود غطرسة تعمي البصر، التجأ المنتسبون لإدارة ترمب إلى عالم خيالي لا تنغص عليهم فيه الحقائق الملموسة والمررة.

يتفوهون بسخافات غير منطقية، وفي الوقت نفسه يغتصبون الدستور، ويستبدلون الدبلوماسية، والتعاون متعدد الأطراف والسياسة بالتهديدات وفروض الولاء. والوكالات والدوائر التي شكّلت وموّلت بقوانين سنّها الكونغرس أصبحت في مهب الريح.

إنهم يزيلون التقارير الحكومية والبيانات المتعلقة بتغير المناخ. وانسحبوا من اتفاقية باريس الخاصة بالمناخ، ومن منظمة الصحة العالمية. وفرضوا عقوبات على مسؤولين في المحكمة الجنائية الدولية التي أصدرت أوامر باعتقال رئيس الوزراء الإسرائيلي، بنيامين نتنياهو، ووزير الدفاع السابق، يوفاف غالانت، بتهم تتعلق بجرائم حرب في غزة.

كما أنهم اقترحوا أن تصبح كندا الولاية الأميركية الحادية والخمسين. وشكلوا لجنة مهمتها «التخلص من التحيز ضد المسيحية». ودعوا إلى ضم جزيرة غرينلاند، ومصادرة قناة بنما. كذلك اقترحوا بناء منتجعات فاخرة على شاطئ قطاع غزة بعد تهجير سكانه، ووضعه تحت سيطرة الولايات المتحدة. وهذا إن حدث سيؤدي إلى سقوط الأنظمة العربية التي تدعمها الولايات المتحدة.

حكام الإمبراطوريات في المرحلة التي تسبق الانهيار، بما في ذلك الأباطرة كاليغولا ونيرو، أو تشارلز الأول، آخر ملوك هابسبرغ، عانوا من اللاعقلانية التي ظهرت أعراضها على «صانع القبعات المجنون»: يتفوهون بكلام غير مفهوم، ويطرحون ألباساً لا إجابة لها، ويرددون عبارات سخيفة لا معنى لها.

هؤلاء الأباطرة، مثل ترمب الآن، انعكاس للعفن الأخلاقي والفكري والجسدي الذي ينتشر في مجتمع مريض.

أمضى عامين في إجراء بحوث والكتابة عن المؤدجين المشوهين الذين يتبعهم الذين استولوا على السلطة، وكان ذلك في كتابي «اليمن المسيحي والحرب على أميركا». اقرأه قبل فوات الأوان.

هؤلاء الفاشيون المسيحيون، الذين يعرفون نواة أيديولوجية إدارة ترمب، لا يخفون كراهيتهم للديمقراطيات التعددية العلمانية. لقد سردوا بالتفصيل في كتب ووثائق «مسيحية» متعددة، مثل مشروع 2025 الصادر عن مؤسسة التراث (Heritage Foundation). وهم يسعون إلى تشويه السلطتين القضائية والتشريعية ووسائل الإعلام والأوساط الأكاديمية لتصبح زوائد لدولة «مسيحية» يحكمها قائد يحظى بمباركة إلهية.

وهم يبدون الإعجاب الصريح بملتمسي الأعذار للنازية، مثل روساس جون راشدوني، المؤيد لعلم تحسين النسل، الذي يدعو إلى إسناد التعليم والرعاية الاجتماعية للكنائس، ويريد أن يحل القانون الإنجيلي محل القانون العلماني، وبمنظري الحزب النازي، مثل كارل شميت.

أنهم مؤمنون بالعنصرية، وكارهون للنساء، ومعادون للمثليين، ويتبنون نظريات مؤامرة غريبة، مثل نظرية استبدال البيض، ووحش غامض يسمونه «ووك» (Woke). بعبارة موجزة، ليس لهم أساس في كون واقعي.

== =

<https://consortiumnews.com/2025/02/11/chris-hedges-the-empire-self-destructs/>

ترجمات: مشروع 2025

مشروع الانتقال الرئاسي في الولايات المتحدة

أدناه مقتطف من كتاب نشرته مؤسسة التراث الأمريكية (Heritage Foundation)، وقد استهدف التحضير للانتقال من رئاسة أمريكية «ليبرالية» ممثلة بجو بايدن، من الحزب الديمقراطي، إلى رئاسة «محافظة» في عام 2025. نجاح الانتقال أو فشله في عام 2025 كان يعتمد على نتيجة انتخابات الرئاسة المقررة في تشرين الثاني (نوفمبر) 2024، التي كان المرشحان الرئيسيان فيها جو بايدن ودونالد ترمب. لكن بايدن انسحب من السباق، فأصبحت المنافسة بين كامالا هاريس وترمب. أسفرت الانتخابات عن فوز ترمب، وانتقلت الرئاسة إليه في كانون الثاني (يناير) 2025.

يعتبر من يطلقون على أنفسهم صفة «محافظين» أن هذا الوصف إيجابي. أما إذا نظر المرء إلى موقع من يتبنى السياسات التي يجذبونها ضمن طيف تصنيف الأحزاب (يمين؛ يسار؛ وسط) فالمحافظون يكون موقعهم في يمين الطيف.

== =

وعد المحافظين

هذا الكتاب —وعد المحافظين— هو حجر الأساس لبدء مشروع الانتقال الرئاسي لعام 2025، الذي وضعته مؤسسة التراث بالتعاون مع العديد من الشركاء في نيسان (أبريل) 2022. يضم الكتاب ثلاثين فصلاً فيها مئات من التوصيات السياسية الواضحة والملموسة للبيت الأبيض، والوزارات، والكونغرس، والوكالات، والمفوضيات، والمجالس.

نطاق توصيات وعد المحافظين مهم، لكن اتساع نطاق مؤلفيه لا يقل أهمية. هذا الكتاب هو نتاج عمل أكثر من 400 باحث أكاديمي وخبير سياسي من جميع تيارات الحركة المحافظة ومن مختلف أنحاء البلاد.

شارك في التأليف مسؤولون منتخبون سابقون، واقتصاديون على مستوى عالمي من الشهرة، ومخضرمون من أربع إدارات رئاسية. الأجندة التي أعدها المحافظون من أجل المحافظين، الذين سيكونون جاهزين للعمل من اليوم الأول من الإدارة الجديدة لإنقاذ بلدنا من حافة الكارثة.

تولت مؤسسة التراث مرة ثانية تسهيل هذا العمل. ولكن، كما سيشهد العشرات من شركائنا، والمئات من المؤلفين، هذا الكتاب هو من عمل حركة المحافظين كلها. وبهذه الصفة، يعبر المؤلفون عن توصيات توافقية تم التوصل إليها، وخاصة ما يتعلق بأربع مجالات ستحدد مصير أميركا:

= إعادة العائلة لدورها كبؤرة الحياة الأميركية وحماية أطفالنا.

= تفكيك الدولة الإدارية وإعادة حكم الذات للشعب الأميركي.

= حماية سيادة أمتنا وحدودها وثرواتها من التهديدات العالمية.

= صون حقوقنا الفردية الموهوبة من الله لنعيش بحرية — ما يسميه

دستورنا «بركات الحرية».

ما يُكسب هذه الأركان الأربعة لوعد المحافظين أهميةً كبيرةً للرئيس القادم هو أنها تتجنب ما يشته من أمور سطحية، وتركز على التحديات الأخلاقية والأساسية التي تواجهها الولايات المتحدة في هذه المرحلة من التاريخ. هذا أحد أسرار نجاح المحافظين في مرحلة [الرئيس رونالد] ريغان، وهو نجاح يجب على جيلنا أن يقتدي به.

= = =

محتويات الكتاب كاملة (بالإنجليزية) على الرابط التالي:

<https://www.project2025.org/>

الصفحة الأخيرة: د. عدلي الهواري

رفائيل ليمنك يعرف الإبادة العرقية في عام 1944

كتاب حكم المحور في أوروبا المحتلة

من المعروف عن اللغة الإنجليزية وجود مقاطع تضاف قبل أو بعد كلمة لإعطائها معنى جديدا. من هذه الإضافات سايد (cide)، التي تعني قتل. ونجدها في كلمات مثل سويسايد (suicide) أي الانتحار، وهوموسايد (ho-mocide) أي جريمة قتل إنسان.

المحامي البولندي اليهودي، رافائيل ليمنك (Raphael Lemkin)، استخدم هذا المقطع لابتكار مصطلح جديد هو جينوسايد (genocide)، أي قتل فئة عرقية من البشر. يقول ليمنك في كتابه «حكم المحور (1) في أوروبا المحتلة: قوانين الاحتلال. تحليل الحكومة. مقترحات للإنصاف» (1944): «إن المفاهيم الجديدة تتطلب مصطلحات جديدة. نعني بـ«جينوسايد» تدمير أمة أو جماعة عرقية» (ص 79). وأشار في كتابه إلى أن كلمة أخرى تحمل المعنى نفسه هي «اثنوسايد» (ethnocide). لكن جينوسايد هي الشائعة الآن (ص 79)، والترجمة العربية المعتمدة والمتداولة هي الإبادة الجماعية. لكني سأخالف المتداول وأستخدم في هذه المقالة مصطلح «الإبادة العرقية».

ينسب لليمنك أكثر من مجرد ابتكار مصطلح، فهو سعى أيضا إلى جعل الإبادة العرقية جريمة وفق القانون الدولي. وقد تبنت الأمم المتحدة في 9 كانون الأول (ديسمبر) 1948 اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، التي أصبحت سارية المفعول ابتداء من 12 كانون الثاني (يناير) 1951.

في كانون الثاني (يناير) 2024، وافقت محكمة العدل الدولية على النظر في القضية التي رفعتها جنوب أفريقيا، والتي اتهمت فيها إسرائيل بارتكاب الإبادة العرقية في قطاع غزة.

عندما تكون قضية ما قيد المفاضلة، درجت العادة على امتناع المسؤولين عن التعليق عليها إلى أن يقول القضاء كلمته. إلا أن السياسيين والإعلاميين في الغرب واصلوا عدم الاكتراث بوجود قضية لدى المحكمة، وتواصلت التصريحات التي ترفض اعتبار ما يجري في غزة إبادة عرقية مستنديين إلى ذرائع مختلفة. لا يجوز إنسانيا أولاً أن يكون رقم معين من الضحايا هو الحد الفاصل بين تعريف عملية قتل جماعي بأنها إبادة عرقية أم لا، ففقدان حياة إنسان واحد يؤسف عليها. لذا، بصرف النظر عن المسمى، لا ضمير يجب أن يشعر بالراحة لأن عدد القتلى لم يصل الحد الذي يقنعه أن ما يجري هو إبادة عرقية. ثانياً، عندما يكون هناك اتفاقية دولية لمنع جريمة الإبادة الجماعية والمعاقبة عليها، لا يجوز للدول أن تتجاهل هذه الاتفاقية وتعتبر إعلان دولة أنها ستنفذ إبادة عرقية في قطاع غزة ضرباً من ضروب حق دولة في الدفاع عن نفسها.

كذلك، لا يجوز من الناحية الإنسانية والأخلاقية التشكيك في أرقام الضحايا التي يعلنها المتعرضون للإبادة العرقية عندما تكون الأدلة وفيرة ودامغة على صحتها، وخاصة أن القتل في غزة معزز بالصور والفيديوهات، ليس ممن يتعرضون للإبادة، بل ومن الأفراد المشاركين في تنفيذها.

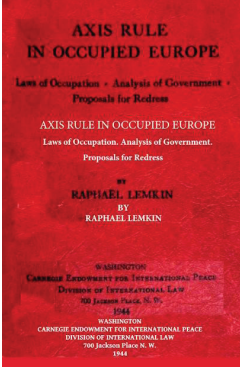
ونظراً لأن الإبادة العرقية كمصطلح، وتحولها إلى جريمة وفق القانون الدولي، ينسب إلى ليمن، فمن البديهي أن يعود الباحث إلى ما كتبه ليمن عن الموضوع. ومن يفعل ذلك سيجد في كتابه المذكور أعلاه فصلاً يوضح تعريفه للإبادة العرقية (ص 79-95). أوجز أدناه أبرز النقاط التي وردت في هذا الفصل.

يشرح ليمن باستطراد أن الإبادة العرقية ليست مرتبطة بعدد من يقتلون مباشرة وحسب، فيقول: «إذا تحدثنا بشكل عام، لا تعني الإبادة العرقية بالضرورة القضاء الفوري على أمة ما، إلا إذا تم ذلك من خلال عمليات قتل



جماعي لكل أفراد الأمة. بتعبير أدق، الإبادة العرقية يدل عليها وجود خطة منسقة تشمل مجموعة مختلفة من الأفعال التي تهدف إلى القضاء على الأسس الجوهرية لحياة الجماعات الوطنية. تتضمن أهداف الخطة تفكيك المؤسسات السياسية والاجتماعية، والثقافة، واللغة، والمشاعر الوطنية، والدين، والوجود الاقتصادي للجماعات القومية. ويضاف إلى ذلك، القضاء على الأمن

الشخصي، والحرية، والصحة، والكرامة، وحياة المنتمين إلى هذه الجماعات. ومع أن الأفعال المرتبطة بالإبادة العرقية تستهدف الأفراد، إلا أن الاستهداف راجع إلى انتمائهم إلى الجماعة الوطنية المستهدفة» (ص 79).



ويستعرض ليمن تطور الحروب من الإبادة العرقية إلى حصرها بين الدول والجيش التابعة لها، فيقول: «الإبادة العرقية نقيض مبدأ روسو-بورتاليس،(2) الذي يعد واردا ضمنا في لوائح لاهاي(3). تعتبر الحرب وفق هذا المبدأ حربا تستهدف الحكام والجيش، وليس ضد الرعايا والمدنيين. التطبيق المعاصر للمبدأ يعني شن الحرب على الدول والجيش وليس على السكان» (ص 80).

ويشير ليمن إلى أن ألمانيا النازية عادت أثناء الحرب العالمية الثانية إلى ممارسة الإبادة العرقية، فهي لم تكتف بشن الحروب على الدول وجيوشها، بل استهدفت السكان أيضا، ووضعت الآتي منطلقا لذلك:

«الدول العدو الواقعة تحت سيطرة ألمانيا يجب أن تُدمر، وتفكك، أو تُضعف بدرجات مختلفة لبعود قادمة. ولذا سيكون الشعب الألماني في فترة

ما بعد الحرب في موقع يمكّنه من التعامل مع الشعوب الأوروبية الأخرى على أساس التفوق البيولوجي» (ص 81).

يخصص ليمنح جزءا كبيرا من الفصل المتعلق بالإبادة العرقية للحديث عن أساليب تنفيذه في المجالات المختلفة التي تشمل الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والبيولوجية والجسدية والدينية والأخلاقية (ص ص 82-90). وسأقتطف فيما يلي بعض ما ذكره ليمنح في كل مجال من هذه المجالات.

الجانب السياسي

دمرت ألمانيا المؤسسات المحلية للحكم الذاتي في المناطق التي ضمتها في غرب بولندا، ويوبين، ومالديني وموريسنت، وفرضت في هذه المناطق إدارة ذات أمط ألمانية. وكل ما يُذكر بالشخصية الوطنية السابقة تم محوه. حتى اليافطات التجارية والنقوش على المباني، واللافتات على الطرق والشوارع، إضافة إلى أسماء المناطق والأحياء تم تغييرها إلى نمط ألماني [12] (ص 82).

الجانب الاجتماعي

يتحقق القضاء على النمط الوطني في المجال الاجتماعي من خلال إلغاء القوانين والمحاكم المحلية وفرض القوانين والمحاكم الألمانية، وأمنة [أي جعل الشيء ألمانيا] لغة القضاء والمحاماة» [18] (ص 83).

الجانب الثقافي

لمنع التعبير عن الروح الوطنية من خلال الوسائط الفنية، تم تطبيق سيطرة شديدة على كل النشاطات الثقافية. كل المنخرطين في رسم اللوحات، والرسم، والنحت، والموسيقى، والأدب، والمسرح طُلب منهم الحصول على ترخيص لمواصلة نشاطاتهم. ومورست السيطرة على هذه النشاطات من خلال السلطات الألمانية (ص 84).

الجانب الاقتصادي

يؤدي تدمير أسس الوجود الاقتصادي لجماعة وطنية إلى شل تطورها، بل

وتراجعته. ويؤدي خفض مستويات المعيشة إلى صعوبات في تلبية المتطلبات الثقافية-الروحية. يضاف إلى ذلك، أن الصراع اليومي من أجل الحصول على الخبز والبقاء جسدياً قد يؤدي إلى إعاقة التفكير على الصعيدين العام والوطني (ص 85).

الجانب البيولوجي

طبقت ألمانيا في الدول التي احتلتها والتي يعيش فيها «أناس من دم ليس ألمانيا» سياسة تفريغها من السكان. من أهم الطرق لتحقيق هذا الهدف خفض نسبة الولادة بين الجماعات الوطنية ذات الدم المختلف. واتخذت ألمانيا في الوقت نفسه خطوات لتشجيع زيادة نسبة الولادة بين ذوي الأصول الألمانية الذين يعيشون في هذا الأقطار (ص 86).

الجانب الجسدي

استخدمت ألمانيا الطرق التالية لإنهاء الجماعات الوطنية، بل وحتى الإجهاد عليها، في الدول التي احتلتها:

1. التمييز العرقي في التغذية: وأخذ ذلك شكل تنظيم توزيع الحصص التموينية على أسس عرقية في جميع أنحاء الدول المحتلة (ص 87).
2. تعريض الصحة للخطر: حُرمت الجماعات الوطنية غير المرغوب فيها، وخاصة في بولندا، من الضروريات اللازمة للحفاظ على الصحة والحياة. شمل ذلك، على سبيل المثال، مصادرة الملابس الدافئة والأغطية في الشتاء، والامتناع عن تقديم الحطب والأدوية (ص 88).
3. القتل الجماعي: استُخدم هذا الأسلوب بشكل رئيسي ضد البولنديين، والروس، واليهود، والشخصيات البارزة في الجماعات التي لم تتعاون مع ألمانيا في الدول التي احتلتها (ص 88).

الجانب الديني

حاول الاحتلال الألماني تعطيل التأثيرات الوطنية والدينية في لوكسمبورج،

حيث أغلبية السكان تدين بالمسيحية الكاثوليكية، ويلعب الدين فيها دوراً مهماً في الحياة الوطنية، وخاصة في مجال التعليم (ص 89).

الجانب الأخلاقي

يسعى الاحتلال إلى إضعاف المقاومة الروحية لدى الجماعة الوطنية من خلال تهيئة أجواء انحلال أخلاقي في أوساطها. تهدف هذه الخطة إلى جعل الطاقة الذهنية لهذه الجماعة تتركز على الغرائز الدنيئة، وإبعادها عن التفكير الأخلاقي والوطني. لتحقيق هذه الغاية من الخطة، تحل الرغبة في المتعة الشخصية الرخيصة محل المشاعر الجماعية والمثل القائمة على الأخلاق السامية. في بولندا سعى الاحتلال الألماني إلى فرض المجلات والأفلام الإباحية على البولنديين، وشجع استهلاك المشروبات الكحولية، فقد أبقى على أسعارها منخفضة رغم ارتفاع أسعار المواد الغذائية (ص ص 89-90).

توصيات يمكن بالنسبة للمستقبل

يدافع ليتمكن عن مفهوم الأمة، ويعدد الفوائد التي يجنيها العالم من الأمم، فيقول: «يدل مفهوم الأمة على التعاون البناء والمساهمات الأصيلة المستندة إلى تقاليد وثقافة أصيلة، ونفسية وطنية متطورة جيداً. لذلك، فإن تدمير أمة يؤدي إلى فقدان مساهماتها المستقبلية في العالم. إضافة إلى ذلك، فإن هذا التدمير يؤدي مشاعرنا المرتبطة بالأخلاق والعدالة مثلما تفعل جريمة قتل إنسان. الجريمة في الحالتين جريمة قتل، ولكن على نطاق أوسع بكثير في حالة الإبادة العرقية. ومن الملامح الأساسية التي ميّزت تقدم الحضارة احترام وتقدير السمات الوطنية، وخصال الأمم المختلفة. وكما يتضح من المساهمات التي قدمتها الدول الضعيفة دفاعياً، والفقيرة من حيث الموارد الاقتصادية، لا تقاس المساهمات بميزان قوة وثروة أمة (ص 91).

يمثل ما كتبه ليتمكن في الفصل المشار إليه أعلاه خير رد على عديمي الضمير والأمانة الفكرية والأخلاقية من سياسيين وإعلاميين. كل محاولات اعتبار

الهولوكوست شيئاً آخر، والتقليل من عدد ضحاياه، لطخت من فعل ذلك بالعار. والمحاولات الكثيفة الواسعة الانتشار لاعتبار ما يجري في غزة أمراً لا يمكن وصفه بأنه إبادة عرقية، أو التقليل من عدد الضحايا، لا تختلف عن تلك المتعلقة بالهولوكوست، وهي ستعود على من يقوم بها بالعار أيضاً، عاجلاً أو آجلاً.

== =

الهوامش

(أ) ملاحظات كاتب المقالة ومترجم المقتطفات من الكتاب:

(1) الحرب العالمية الثانية (1939-1945) كانت بين دول متحالفة ضمن مجموعتين. الأولى عرفت بالمحور، وهي تضم ألمانيا وإيطاليا واليابان، بالتعاون مع دول أخرى. المجموعة الثانية عرفت بالحلفاء وضمت بريطانيا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، بالتعاون مع دول أخرى.

(2) الفيلسوف الفرنسي، جان جاك روسو، ذكر في كتابه «العقد الاجتماعي» (1762) أن الحرب نزاع بين دول، ودعا إلى حماية المدنيين أثناء الحروب. جان اتين-ماري بورتاليس: قانوني وسياسي فرنسي (1746-1807) دعا إلى معاملة غير المقاتلين معاملة إنسانية أثناء الحروب. أحكام لاهاي (1907) تحدد ما هو جائز وغير جائز أثناء الحرب، وتهدف إلى حماية المدنيين والممتلكات ومعاملة الأسرى معاملة إنسانية.

(3) أحكام لاهاي (1907) تحدد ما هو جائز وغير جائز أثناء الحرب، وتهدف إلى حماية المدنيين والممتلكات ومعاملة الأسرى معاملة إنسانية.

(ب) هوامش في متن كتاب رفائيل ليمن:

[12] بالنسبة إلى لوكسمبورغ، انظر/ي الأمر الصادر في 6 آب (أغسطس) 1940، أدناه، ص 440.

[18] انظر/ي أعلاه الفصول المتعلقة بالقانون والمحاكم.

(ج) التوثيق الجغرافي لكتاب ليمن:

Lemkin, Raphael. Axis Rule in occupied Europe: Laws of Occupation. Analysis of Government. Proposals for Redress. Washington: Carnegie Endowment for International Peace, Division of International Law, 1944.

غلاف العدد الفصلي 36 عن لوحة الغلاف

لوحة العدد الفصلي السادس والثلاثين من مجلة عود الند الثقافية (ربيع 2025) لوحة ليست لفنان/ة بل من انتاج الذكاء الصناعي وتعكس ما يفترض أنها شجرة المعرفة.



عود الند تكمل عامها التاسع عشر

بصدور العدد الفصلي الحالي من مجلة **عود الند** الثقافية (العدد الفصلي 36: ربيع 2025)، تكمل **عود الند** تسعة عشر عاما من النشر الثقافي الراقى. صدرت **عود الند** شهريا طيلة عشرة أعوام (2006-2016)، ثم تحولت إلى دورية فصلية، أي تصدر أربع مرات في السنة. يصدر العدد الفصلي بصيغتين رقميتين، الأولى النصية التي تنشر في موقع المجلة، والثانية بي دي اف، أقرب الصيغ الرقمية للنشر الورقي. أعداد بي دي اف تؤرشف لدى المكتبة البريطانية. وتوجد أغلبية الأعداد الفصلية في أرشيف الشارخ للمجلات العربية. الأعداد بالصيغتين متوفرة للتصفح دون قيود من أي نوع، وهي خالية من الإعلانات. نتطلع إلى مواصلة النشر بالجودة والانتظام اللذين ميزا **عود الند** منذ صدورها في مطلع حزيران (يونيو) 2006.

عود الند

مواعيد صدور الأعداد

العدد الفصلي 37 (صيف 2025): 1 حزيران (يونيو) 2025

العدد الفصلي 38 (خريف 2025): 1 أيلول (سبتمبر) 2025

العدد الفصلي 39 (شتاء 2026): 1 كانون الأول (ديسمبر) 2025

العدد الفصلي 40 (ربيع 2026): آذار (مارس) 2026

عود الند في سطور

صدر العدد الأول من مجلة **عود الند** الثقافية مطلع شهر حزيران (يونيو) 2006. وصدرت شهريا عشر سنوات متتالية.

حصلت **عود الند** من المكتبة البريطانية على رقم التصنيف الدولي للدوريات في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) 2007. الرقم الخاص بـ **عود الند** هو: 4212-ISSN 1756

شارك في **عود الند** كاتبات وكتاب محترفون ومبتدئون من الدول العربية والمهجر.

بعد إتمام العام العاشر، وصدر 120 عددا شهريا، تقرر تحويل المجلة إلى فصلية.

ناشر المجلة د. عدلي الهواري. له كتب بالإنجليزية، والعربية، من بينها: الديمقراطية والإسلام في الأردن؛ تقييم الديمقراطية في الأردن؛ بيروت 1982: اليوم «ي»؛ مقالات في السياسة الخارجية الأمريكية؛ اتحاد الطلبة المغدور؛ الحقيقة وأخواتها؛ المجلات الثقافية الرقمية.